

من المنشية إلى جبال الخليل: مذكرات محمد عبد الهادي الشروف أليكس ويندر

ولد محمد عبد الهادي الشروف عام ١٩١٣ م في قرية نوبا التي تبعد حوالي أحد عشر كيلومتراً شمال غرب الخليل. ورغم أنه كان ما يزال طفلاً عندما احتل البريطانيون فلسطين عام ١٩١٧ م، فقد كبر الشروف تحت حكم الانتداب البريطاني حيث أخذت حياته لاحقاً شكلها النهائي مع اندلاع حرب عام ١٩٤٨ م. وازب الشروف على كتابة يومياته لنحو عشرين سنة، ما بين عامي ١٩٤٣ و١٩٦٢ م، حيث سجل فيها نشاطاته اليومية إلى جانب التطورات من حوله. ورغم أن ما دونه في بدايات ونهايات هذه اليوميات لم يكن منتظماً ومتابِعاً، فإن الغالبية العظمى منها ما بين عامي ١٩٤٤ و١٩٥٥ م تشكل تقريباً تسجيلاً يومياً لتحركاته ونشاطاته وتفاعله مع المحيط الذي يعيش فيه. تتابع هذه اليوميات الشروف منذ أن كان بقالاً في البلدة القديمة في مدينة القدس وحتى خدمته كشرطي في يافا تحت حكم الانتداب البريطاني. ثم بعد ذلك حين عودته من يافا إلى منطقة الخليل حيث لاحت في الأفق حتمية الحرب. مشكّلة توقعاً بنهاية الانتداب في عام ١٩٤٨ م. شهد الشروف بعد الحرب انتقال الخليل من السيطرة العسكرية المصرية إلى الإدارة الأردنية. وعندما رسمت خطوط وقف إطلاق النار بعد الاتفاقية العسكرية عام ١٩٤٩ م، أصبح يمتلك ١٦ دونماً من أصل ١٦٩ دونماً، حيث وقعت البقية من أراضي عائلته ضمن المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل.

* مرشح لدرجة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية في جامعة نيويورك، وهو ممتن لعائلة الشروف، ولسليم تمّاري وطاقي مؤسّسة الدراسات الفلسطينية في رام الله لكرمهم في السماح له بالاطلاع على يوميات الشروف ومساعدتهم في التعامل معها، وكذلك لنديم بواصلة ورثة عقل لعمهم وإلهامهم.

أصبح الشروف تحت الحكم الأردني مدافعاً لا يكلّ عن فلسطيني القرى الأمامية، الذين لم يكونوا لاجئين بالأصل، لكنّ فقدان أراضيهم وقربهم من دولة إسرائيل المعلنة حديثاً أفسد حياتهم بشكل كبير. وقد وجد الشروف، تبعاً للظروف الاقتصادية التي سادت آنذاك، أن تدبير معيشتته هو وأسرته في نوبا أصبح أمراً صعباً بشكل متزايد، فبعد العمل لبعض الوقت ضمن طواقم الطرق التي نظمتها الحكومة الأردنية حتى تقدم تشغيلاً وإغاثة اقتصادية في الضفة الغربية، أصبح أخيراً مجبراً على مغادرة فلسطين عام ١٩٥٥ م، متجهاً إلى الضفة الشرقية نحو الرصيفة، وذلك للعمل في شركة مناجم فوسفات الأردن. وليس مفاجئاً أن كتابة الشروف لمذكراته أصبحت أقل انتظاماً خلال هذا الانتقال، الذي أبعده بشكل كبير، لكن ليس كليةً كما سنرى لاحقاً، عن شبكة روابطه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حافظ عليها في نوبا والقرى المجاورة.

الخاص والعام

تعد يوميات محمد عبد الهادي الشروف نصاً فريداً ومصدراً أولياً غنياً لفهم الحياة اليومية لقطاع كبير غير مرئي من المجتمع الفلسطيني في فترة تتجاوز اللحظة المحورية والمفصلية في التاريخ الفلسطيني الحديث، لحظة نكبة ١٩٤٨. تختلف السيرة الشخصية للشروف عن تلك الخاصة بمعظم أصحاب اليوميات والمذكرات المنشورة حول فلسطين الانتدابية. وفي الحقيقة أنّ قائمة الشخصيات التربوية والسياسية الفلسطينية البارزة الذين تركوا توثيقاً لنشاطاتهم وتجاربهم في فلسطين خلال الحكم البريطاني وما بعد النكبة تطول، لكن محمد عبد الهادي الشروف ليس ضمنها. توفر هذه اليوميات، ضمن هذا السياق، مصدراً ثميناً لا يقتصر اهتمامهم على دراسة النخب، ولمن تساعد جهودهم بخصوص تضمين الأصوات الهامشية والثانوية في تاريخ فلسطين في تقديم مشهد أكثر اكتمالاً للمجتمع الفلسطيني، وفهم أكثر تركيباً للتجربة الفلسطينية. أما بخصوص كون الشروف شخصية بارزة، فقد كان الأمر يتعلق أكثر بجانب محلي، أي في قريته نوبا والقرى المجاورة لها.

من بين المدن والمناطق الرئيسية في فلسطين، بقيت الخليل وجبلها بشكل عام مناطق غير مدرّسة، بل وحتى أكثر من ذلك، فقد بقيت مناطق مهمشة في الأدبيات الأكاديمية، وما يجعل هكذا يوميات ذات قيمة

أكبر هو كون الشروف لا يعود بأصوله إلى مدينة الخليل ذاتها بل إلى مناطقها النائية، فمعظم التوثيق المكتوب للتجارب الفلسطينية في هذه الفترة يخص أفراداً من المدن. وبذلك تكمل هذه اليوميات نظيرتها المنشورة حديثاً والخاصة بسامي عمرو، وهو فتى فلسطيني عاش في الخليل في أربعينيات القرن العشرين^١. لكن وبينما كتب عمرو كفتى يعيش في الخليل ذاتها وينتهي يومياته قبل عام ١٩٤٨ م. فإن الشروف يكتب كإنسان ناضج (ولد عمرو عام ١٩٢٤ م. بعد عقد كامل من الشروف). مندمج تماماً في ثنايا حياة القرية. واستمر في يومياته حتى الستينيات. حيث كانت المادة الأغنى فيها في مطلع الخمسينيات.

أيضاً فإن يوميات الشروف تختلف بشكل أساسي عن مذكرات سامي عمرو. ولا تتوافق مع بعض التوقعات التقليدية من نصوص اليوميات في مظهر أساسي: فهي لا تقدم إلا إضاءة بسيطة على الشروف كفرد^٢. وهذا لا يعني أن يوميات الشروف ليست مذكرات شخصية. فبالإضافة إلى نقل الأحداث الجيوسياسية الأكبر التي تدور من حوله. يقدم الشروف في مذكراته تفاصيل دقيقة حول حياته وأعماله اليومية. ولقاءاته بآخرين حول موائد الطعام والقهوة. وما يدور أحياناً من تفاعلات صاخبة مع الشخصيات المحلية ومسئولي الدولة. وتجارته في السوق. لكننا لا نحظى أبداً بمعرفة تقديراته الخاصة حول هذه المسائل. أو أفكاره الداخلية وردود أفعاله. واللمحات الأقرب التي يسمح لنا بالاطلاع عليها تتضمنها يوميات مثل تلك الخاصة بيوم ٢٢ أيلول ١٩٥٢ م:

كوفاة ابنه غازي تذكر بشكل مقتضب: «١ آب ١٩٤٤ م: بالساعة الخامسة صباح يوم الثلاثاء توفي غازي. توفي ولدي غازي رحمه الله ودفن بمقبرة القرية يوم الثلاثاء الموافق ٤٤/٨/١». وحتى نربط الأمور. فقد سمى الشروف طفله التالي بغازي. وعندما مات غازي الثاني هذا عام ١٩٤٦ م. بعد أن انتقل الشروف مع عائلته للعمل في يافا. لم يحظ الأمر باهتمام أكثر: «١٠ كانون الأول ١٩٤٦: بالساعة الرابعة صباح اليوم توفي ولدي غازي ودفن بمقبرة يازور».

تأتي اللحظة الأكثر حميمية في كل اليوميات عندما يهرب ولد الشروف الأكبر. فيصل. من البيت في ١٧ تموز ١٩٥٥ م. بسبب انزعاجه من درجاته المدرسية إلى حد أنه مزق تقرير علاماته. فيمضي الشروف أياماً في البحث عنه. إذ يسافر إلى عمان وأخيراً إلى الرصيفة في الأردن. حيث يجده بعد ثمانية أيام. وقد كتب الشروف بعد يومين من هروب فيصل:

١٩ تموز ١٩٥٥: ذهبت للخليل للبحث عن فيصل وسألت عنه كثيرين من الناس. وذهبت لقرية حلحول للبحث عنه. وقد فهمت من أحد الناس بنقطة حلحول بأنه قابله صباح أمس ما بين بئر النجد وبقار متوجهاً لجهة الشرق. وعدت للخليل ومنها روت للبلدة. وفي المساء ذهبت لقرية خاراس ثانية للسؤال عنه. وبعد ذلك عدت للبلدة ولكنني نمت الليلة الماضية وهذه الليلة على أحر من الجمر قلقاً عليه.

لكن بعيداً عن التعبير المختصر والرفيق عن قلق الوالد على طفله. فإن تفاعلات الشروف مع عائلته وأصدقائه ومعارفه مسجلة ضمن نمط من الهدوء الموحد الملحوظ والمثير للإحباط أيضاً.

وحتى الجزء من اليوميات الذي يلقي الضوء الأكبر على آراء الشروف السياسية وتقديراته العامة لظروف أولئك الذين يعيشون في قرى الخط الأمامي في منطقة الخليل. والتي تظهر في الدفتر الخاص الذي سجل فيه الشروف رسائل كتبها للنشر في الصحف. وخطابات تم إلقاؤها في تجمعات مختلفة. فهي بطبيعتها أفكار عامة. لا توفر هذه اليوميات إحساساً بالأفكار والآراء التي ربما شعر الشروف بأنها قوية جداً أو أنها أقل مستوى من أن تتم مشاركتها مع الآخرين.

السمة العامة ذات التأثير الغالب لهذه اليوميات. وهي كلمة تستحضر بنفسها الحميمي والخاص. يجب أن تشجع الباحثين على إعادة النظر بشكل أبعد

صباح الاثنين الباكر تركت واسماعيل تيم مخيم العروب. أنا للخليل وإسماعيل ذهب إلى بيت لحم. وفي الخليل ذهبت للمحكمة الشرعية. وقابلت القاضي الشرعي الشيخ محمد صالح العجلوني. وتحدثت معه في مسألة قطعة أرض العمري الوقفية. وقد أظهر تعصب وعناد. وفي قهوة وادي النيل اجتمعت مع الاستاذ حسين الكواملة. وبعد الظهر تركت الخليل بالسيارة إلى بيت أولا ومنها للبلدة سيرا على الأقدام ومعني الشيخ عبد الفتاح كفافي.

كما أن المرء يصدم بما يبدو أنه إشارات باردة وغير شخصية لحياة أسرته. حيث أن قارئ اليوميات قد يتوقع إظهار كاتبها بعض العاطفة الداخلية. فأحداث

التي شكلت علاقات الشروف الأساسية مع زملائه الفلاحين وأولئك الذين هم خارج بلدته.

الحياة الاجتماعية للقرية

تقع نوبا كما هو مذكور أعلاه، على مسافة أحد عشر كيلو متراً تقريباً شمال غرب الخليل، لذلك فهي جزء من الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأكبر لمدينة الخليل، مركز المنطقة. ويمكن للمرء أن يتأكد بسهولة من الحضور البارز للخليل خلال هذه اليوميات. فهناك السلطات السياسية التي يسافر الشروف إلى الخليل لزيارتها، أو التي توفد مبعوثين من الخليل إلى نوبا. عندما يكون في الخليل، غالباً ما يذهب الشروف إلى السوق، والذي يُفترض أن يكون أكبر من أسواق القرية ويقدم بضائع أكثر منها. يسجل الشروف ذهابه للصلاة في الحرم الإبراهيمي، مما يشير إلى أهمية الخليل كمركز للمنطقة بما يتعلق بالقيام بالشعائر الدينية أيضاً. وربما مما يستحق الملاحظة، أنه رغم التشويش الكبير الذي لحق بالمجتمع الفلسطيني عبر حرب عام ١٩٤٨ م والنكبة التي تلتها، والذي يظهر عبر اليوميات، سواء تحت الحكم البريطاني أو الأردني، فقد ظلت الخليل النقطة المركزية في المنطقة بالنسبة للشروف، فهي المكان الذي يسافر إليه للتعامل مع السلطات الإدارية، وكذلك مع السياسيين؛ ويقصده لشراء مستلزمات المدرسة لأطفاله، أو ليمارس نشاطه التضامني مساعداً لقرينته والقرى المحيطة بها.

في الحقيقة، توضح مذكرات الشروف أن نوبا مجرد قرية ضمن مجموعة أكبر من القرى، تشمل خaras وصوريف وترقوميا وبيت أولا، وهي مجموعة مرتبطة بشكل تام. أحياناً يشير الشروف إلى هذه القرى بأنها تكوّن قرى صفّ العملة، أو القرى المرتبطة بعائلة العملة^١، وكما تشهد هذه اليوميات، فإنه لا يكاد يمر يوم على الشروف دون أن تقوده نشاطاته أو زيارته إلى واحدة أو أكثر من هذه القرى. عملت هذه القرى بشكل جماعي على تقديم الخدمات كالرعاية الطبية والتعليم، فعلى سبيل المثال، خدمت عيادة في ترقوميا سكان نوبا حتى عام ١٩٥٦ م عندما تم تأسيس عيادة بين نوبا وخaras^٢، كذلك كان لأطفال نوبا وخaras مدرسة وحيدة، اقترض الفلاحون المال وأقرضوه ضمن هذه الدوائر ونظموا دوريات حراسة مشتركة في أوقات انعدام الأمن. كان الشروف دقيقاً جداً في تسجيله للقرى التي ينتمي لها الأشخاص، كما كان ناشطاً في السياسة والاقتصاد في

بافتراضات حول أنواع محددة من المصادر وأهدافها ومقاصد من ينتجونها، في الحقيقة، تجدر قراءة هذه اليوميات على ضوء تحديات المفاهيم التقليدية حول السيرة الذاتية العربية والتي وضعها العمل الرائد الصادر عام ٢٠٠١ بعنوان «تفسير الذات»^٤، والذي يجادل مؤلفوه بأن تشويه السمعة التقليدي الذي لحق بتقليد كتابة السيرة الذاتية العربية «مبني على نموذج تغلغل فيه تصور غربي حديث محدد حول السيرة والسيرة الذاتية، بحيث أن الباحثين ليسوا قادرين على التعامل بشكل فاعل مع تقليد خاص بالسيرة الذاتية يعود لأعراف أدبية مختلفة، ينشأ خط التفكير هذا جزئياً من التوقعات الحديثة التي تقتضي أن السيرة الذاتية يجب أن تُظهر ذاتاً داخلية تختلف عن، وحتى تتناقض مع، الذات الخارجية العامة»^٥.

إن التفصيل عن كيفية ملائمة نمط الكتابة الذي وجد في يوميات الشروف لتقليد عربي وإسلامي أكبر يتعلق بكتابة السيرة والسيرة الذاتية، هو أمر خارج اهتمام هذه المقالة، وهو جهد يجب أن يستلزم أيضاً إعادة قراءة نقدية لذكريات معاصرين فلسطينيين بارزين للشروف تتفق بشكل أفضل مع مفاهيم غربية حديثة حول السيرة الذاتية. لكن هناك الكثير مما يمكن الحصول عليه من خلال نقل التركيز من ما ليست عليه هذه اليوميات، وقراءتها من خلال عقل منفتح نحو ما هي عليه.

في هذه المقالة، أود أن أذكر كيف أن يوميات فرد، وهو في هذه الحالة محمد عبد الهادي الشروف من قرية نوبا، قادرة على توحيد مجالات عامة متنوعة، من العائلة إلى العشيرة إلى القرية إلى المنطقة، من المحلية إلى الوطنية إلى العالمية، من خلال القيام بهذا الأمر، فإنه حتى الباحث الذي قد يشعر بخيبة أمل أولية كنتيجة لاستمرارية عدم إمكانية الدخول إلى عواطف وأفكار الأفراد الداخلية والخاصة، فإنه يجب أن يدرك في نهاية الأمر كيف يمكن لهكذا يوميات أن تسهم بشكل كبير في فهمنا للحياة اليومية للفلسطينيين في الفترة التي مهدت بشكل مباشر، وتلت، الصدمة الكبرى لعام ١٩٤٨ م.

هنا أمل أن أقدم توضيحاً للميادين العامة والشبكات المختلفة التي كان الشروف متداخلاً فيها ومشاركاً ضمنها، وكيف أثرت في مراحل مختلفة من حياته كما هو مسجل في هذه اليوميات، والأمر الأهم في هذا السياق، كما يمكن أن أناقش، هو الخاص بالقرية. دعونا نتنقل الآن إلى نوبا لنلقي نظرة على الآليات المختلفة

مجموعة القرى هذه. وبنفس القدر توفر يومياته مصدراً تاريخياً بالغ القيمة للمؤرخين المهتمين بديناميات مستويي الإقليم (الخليل والمناطق النائية المحيطة) والمنطقة (قرى صفّ العملة) في الفترة التي يكتب عنها.

كما أن مذكرات الشروف ذات قيمة في فهم ديناميات نوبا نفسها. في نوبا هناك ثلاث حمائل رئيسية: الدبابسة والطرمان والشروف. في الفترة التي احتفظ فيها الشروف بيومياته. كانت حمولة الشروف هي الأكبر تليها حمولة الدبابسة. في حين كانت حمولة الطرمان هي الأصغر من بين حمائل نوبا الثلاث. (في عدة أوقات بعد عام ١٩٤٨. اجتمعت العائلات للقيام بإحصاءات للقرية. ورغم أن هذه الإحصاءات لم تكتمل أبداً - والتي شملت أحياناً الذكور فقط. وأحياناً الفقراء فقط ومن هم بحاجة لمساعدة وإغاثة - فإن الأرقام تعكس دائماً هذا الترتيب داخل القرية).^{١٠}

هناك بعض الأدلة على حدوث مشاكل طارئة ما بين الحمائل الرئيسية. في ١ آب ١٩٤٤ م على سبيل المثال. كتب الشروف:

حضر فلاح عبد الفتاح والحاج ومحمود الحاج أحمد وأحمد محمد عيسى وحسن سالم والحاج عبد السلام وحسن حمدان وأحمد عبد الجواد لعندنا بالمضافة لأخذ عطوة بيننا وبين الطرمان. وقد عمل لهم عشاء ذبحه إسماعيل تيم وذهبوا بدون أخذ عطوة.

وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٣ م. وبعد أن وصل من الخليل وفد من المانونايت الأمريكيين^{١١} لتوزيع ملابس مستخدمة على الفلاحين المحتاجين: «وعند التوزيع حصلت المشاجرة بين أشخاص من الشروف وبعض الأشخاص من الدبابسة بسبب توزيع البقج 'الحقائب' وعلى أثر ذلك وبيوم الجمعة ٢٧ منه اجتمع أفراد حمولة الدبابسة في ساحة واحدة.»

لكن في أغلب الحالات فإن تقسيم القرية يسن الحمائل الرئيسية الثلاث لم يؤد إلى عداوة. لكنه بدلاً من ذلك خدم كوسيلة لتنظيم مهام معينة داخل القرية. وفي المثال الملاحظ هنا. وفي عدة حالات مشابهة في اليوميات فقد تم تنظيم توزيع المساعدات على الفلاحين بعد عام ١٩٤٨ م. سواء من قبل الأمم المتحدة أو الحكومة الأردنية أو أطراف أخرى مثل كنيسة المانونايت. من قبل الحمائل. كما تم غالباً مشاركة أعباء الفلاحين من قبل الحمائل أيضاً. في يومية ١٤ أيلول ١٩٥٢ م كتب الشروف:

الخميس ١١ أيلول ١٩٥٢ حضر محمد أفندي بدر جابي أموال الحكومة للقرية لتحصيل ضريبة سنة ٥٢. ونصف دينار من كل مكلف لمصلحة القرية. وتناول طعام العشاء أول ليلة عند محمد سليمان عبد الحافظ من حساب الدبابسة. وغداً ثاني يوم الجمعة عند الدبابسة أيضاً والعشاء. وغداً يوم السبت على الطرمان والعشاء. وغداً يوم الأحد على الشروف. وفي مساء اليوم أي يوم الأحد تناول طعام العشاء في الزاوية عند الدراويش.^{١٢}

بالنسبة للباحثين المهتمين بالأشكال المختلفة من البيروقراطية وعلاقات الدولة بالمجتمع. فإن الرؤى الخاصة بالتعبيرات عن هذه العلاقات على الأرض تساهم كثيراً في توضيح. وفي نفس الوقت تعقيد. فهمنا لكيفية تأثير البيروقراطية داخل مؤسسات الحكومة على المحكومين. لقد كان دور الحمولة في المجتمعات العربية المشرقية. وما زال. معقداً وغامضاً في الغالب. فنوع التفاعلات المفصلة ما بين الأجسام الحكومية وغير الحكومية من جهة. وحمائل وأفراد نوبا من جهة أخرى. والتي سجلها الشروف في يومياته. تلقي ضوءاً هاماً على توزيع القوة داخل القرية. وكذلك توزيعها ما بين القرية والفاعلين على المستويات المنطقية والوطنية والدولية.

أكثر من ذلك. فكل حمولة كانت مقسمة إلى عدة مكونات فرعية. فبالنسبة لحمولة الشروف. كانت تتكون من أربعة أرباع: ربع محمد عبد الهادي الشروف: صاحب هذه اليوميات. ربع عائلة تيم. ربع عائلة سالم. ربع عائلة ثلجي. وفي الحقيقة. فإن المرء يجد العديد من حالات التوتر في يوميات الشروف ما بين هذه الفروع. ويبدو أن الكثير من الصراعات داخل الحمولة تدور حول عائلة سالم. والتي (ليس صدفة ربما) تحتفظ بمنصب مختار نوبا. في ١٣ آذار ١٩٤٤ م. يسجل الشروف خلافاً ما بين عبد الله تيم وسليمان سالم. وبعد بضعة أشهر. في ٢٦ أيار ١٩٤٤ م قدم الشروف شكوى لدى شرطة الخليل ضد محمود إبراهيم سالم. مختار نوبا. وأعضاء لجنة تمويل نوبا بسبب إهمالهم في إنفاق موارد القرية. في ١١ تشرين الثاني ١٩٥١ م. قدم الشروف شكوى مشابهة بشكل كبير لسلطات الحكومة الأردنية. إن تكرار محاولات الصلح بين عائلتي محمد عبد الهادي وسالم على مدار عدة سنوات يشهد على التوتر المستمر ما بين فرعي الحمولة.^{١٣}

(ذي القيادة الحسينية). والقساميون (أتباع الشيخ عز الدين القسام) وجيش الإنقاذ العربي (القاوقجي).^{١٣}

رغم أن التمييز الحاد ما بين الشرطة الإستعمارية من جهة، ومجموعات الثورة الفلسطينية من جهة أخرى، لا يجب أن يكون حاداً وجافاً (كما سيكون واضحاً لاحقاً)، إلا أنه من المؤكد أن الانضمام للسلك الحكومي بصفة معينة لم يكن أمراً غير مألوف بالنسبة لفلسطينيين يبحثون عن شكل ما من الوظيفة الآمنة. مع راتب منتظم وفرصة للحصول على تقاعد.

لقد وضعت الخدمة الحكومية أيضاً قسماً من الفلسطينيين ضمن حلقات جديدة. اجتماعية ومكانية. ففي محاولة لإخراج رجال الشرطة من الضغوط الاجتماعية التي قد تتداخل مع التنفيذ العادل لمهامهم، وضعت الإدارة البريطانية رجال الشرطة خارج المجتمعات التي أتوا منها. وفي حالة الشروف، فقد نقل إلى يافا. وهناك استأجر بداية منزلاً في قرية اليازور التي تبعد ستة كيلومترات إلى الشرق من يافا. وقد حضر عائلته في شهر أيار ١٩٤٦ م. وسجل ابنه فيصل في المدرسة الأميرية في يازور. لقد عنى نقل الشروف أكثر من مجرد تغيير المشهد من التلال المنخفضة في المنطقة الريفية من الخليل إلى ساحل البحر المتوسط. في الحقيقة، يظهر دفتر الملاحظات الشرطي الخاص به والخاص بهذه الفترة كم كانت يافا مختلفة، لكونها مدينة كوزموبوليتية ذات ثقافة مقاهي وحياة ليلية وتوتر سياسي. عن حياة القرية.

لكونه شرطي، فقد ذهب الشروف ضمن دوريات منتظمة إلى منطقة المنشية المختلطة. هناك، وخلال الدوريات الليلية التي قادته إلى مقهى محمد علي المصري، المعروف بمقهى سامبو، سيقاطع الشروف مجموعات من لاعبي الورق، تضم غالباً يهوداً وعرباً، يلعبون القمار حتى ساعات متأخرة.^{١٤} هذه الشخصيات ذات النوايا المرعبة (حسب معايير الشرطة على الأقل) لم تطارد بعضها البعض في المقاهي فقط، لكنها سعت للاستفادة من وجود السذج أو المغامرين ضمن تيار الخارجين من بلداتهم نحو يافا بغرض التجارة أو لأسباب أخرى. يكتب الشروف بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٤٥ م:

بالساعة ١١،٣٠ صباحاً بينما كنت ماراً من شارع الملك جورج بيافا إذ وجدت المدعو أحمد عبد

من الواضح أن الصلح أمر يراه الشروف جديراً بأن يسجله في يومياته. وهو أمر يحدث بشكل متكرر في نوبيا والقرى المحيطة. لكن ليس من الصواب الافتراض بأن طريقة الصلح هذه، والتي تتضمن جمع أفراد العائلة والوجهاء المحليين للتأكيد على نهاية المشاكل بين الأفراد والعائلات، تمثل اعتماد القرية على الأشكال «التقليدية» و«غير الرسمية» للعدالة. في الحقيقة، فإن قراءة مختصرة وواعية ليوميات الشروف تشير إلى أن شكاوي القرية كانت تؤخذ إلى المحكمة ويتم تداولها من قبل سلطات الدولة على الأقل بالقدر الذي كان يتم فيه التوسط ما بين العائلات ووجهاء القرية. رغم أن الأمر مفاجئ بشكل صعب، فإن هذه اليوميات تظهر الدرجة التي وصل إليها استخدام القرويين تحت الانتداب البريطاني والإدارة الأردنية للأدوات المتعددة المتاحة لهم - سواء التأثير المحلي أو قوانين المحاكم - في محاولة لتحقيق النتائج التي يرغبون بها. غالباً ما يتم عرض ذات الخلاف عبر كلا القناتين حتى يتم أخيراً التوصل لحل له.

يمكن كتابة الكثير حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لنوبيا وقرى صف العملة كما تظهرها يوميات محمد عبد الهادي الشروف. أمل أن تضيء الأجزاء التالية أكثر على هذه الديناميات. لكن في البداية أود أن أنتقل إلى ما جعل الشروف يغادر القرية وجبل الخليل للمرة الأولى. وهي فترة عمله شرطياً لدى سلطات الانتداب البريطاني.

الشروف الشرطي

في ٢٩ آب ١٩٤٤ م، قدّم الشروف أوراقاً ليعيد التحاقه بشرطة فلسطين (القد خدم مسبقاً في قوة الشرطة منذ مطلع عام ١٩٣٥ م وحتى تشرين الثاني ١٩٤٢ م قبل أن يبدأ بكتابة أولى اليوميات)، وبقيامه بذلك، فقد انضم الشروف لنحو ٢٢٠٠ أو ٢٣٠٠ شرطياً آخر في الشرطة الفلسطينية النظامية.^{١٥} وكما لاحظ سليم تماري، فإنّ

أعداد المقاتلين الفلسطينيين في القوات الاستعمارية، إذا ما ضم المرء إليهم الأعضاء العرب في قوة الشرطة البريطانية وفي قسم التحقيقات الجنائية (CID) [في فلسطين]، تساوي، إن لم تزد عن، قوات مجموعات المقاومة مجتمعة، بما فيها مقاتلو الجهاد المقدس

الرؤوف حمدان من سكان البلدة القديمة بيافا يلعب القمار بالثلاثة ورقات مع شخص بدوي وقد شاهدت البدوي وضع ورقة جنيه فلسطيني على الثلاثة ورقات، وبالحال مسكت الثلاثة ورقات مع الجنيه الفلسطيني وألقيت القبض على أحمد عبد الرؤوف المذكور وأحضرتة إلى مركز بوليس البلدة بيافا.

كما يوثق الشروف بشكل مستمر بعض سوء التعامل الذي ألحقه به بعض المقيمين في يافا من ذوي الخلفيات المريبة. على سبيل المثال. في ٢٢ نيسان ١٩٤٥ م وصلت إلى مركز الشرطة شقيقة أحمد الحاج علي الشوني لتتعامل مع اعتقال شقيقها على خلفية ضبطه مخموراً. وممارسته سلوكيات غير منضبطة. طلب الضابط المناوب في المركز من الشروف أن يطرد المرأة. كتب الشروف واصفاً الحدث: «وبالفعل كلفتها بالخروج من المركز بكل لطف واحترام فما كان منها إلا وشتمتني بقولها لي ينعل أبوك وأبو الحكومة التي لبستك البدلة. وذلك بحضور مأمورين البوليس الفلسطيني رقم ٩٦ فريد أبو حمدي. ورقم ٢٥٦٦ عيد الأشهب. ورقم ١٨٣٠ عبد الله. ومن ثم سبت ديني ودين أفراد البوليس المذكورين أعلاه وجملة من أفراد بوليس المركز.» وفي حادثة أخرى جرت في ١٤ آب شك الشروف بامرأة سورية الجنسية. وبعد سؤالها. ادعت أنه رغم كونها سورية بالفعل فإنها موجودة في فلسطين كموطنة منذ عام ١٩٢٣ م. كونها تزوجت فلسطينياً. بعد التدقيق في وثائقها وملاحظة الفرق بينها وبين ما روته. اتهمها الشروف بدخول فلسطين والمكوث فيها بطريقة غير شرعية. «فما كان منها إلا وشتمتني وتكلمت معي بكلام غير لائق بقولها ينعل أبوك واحد عرص ولازم أريك. وتستطيع أنت وحكومتك تقبيل مؤخرتي.»

تظهر هذه التسجيلات الصريحة العداء الذي كان لدى العديد من الفلسطينيين تجاه رجال الشرطة الفلسطينيين الذين مثلوا حكومة الانتداب البريطاني عديمة الشعبية. فالمرأتان لم ترشقا الشروف بالشتائم كفر. بل كمثل للدولة. يرتدي زي «الحكومة بنت الحرام» كما أن مسألة الجندر في هذه الإشكاليات مثيرة للاهتمام. رغم أن المواجهات مع الرجال لم تكن غائبة عن دفتر ملاحظات الشروف. بما فيها ذلك المتعلق بحادثة حصلت بتاريخ ١٣ كانون ثاني ١٩٤٥ م. وخلالها توصف الشرطة بـ «الأغبياء». فإن هذا الدفتر يبدو أنه يسجل بشكل مفضل اللغة الكريهة التي تستخدمها النساء. ومن الممكن أن يشير هذا إلى عدد

من الاحتماليات المختلفة. يمكن أن ينظر لاستخدام النساء لهذا لغة على أنه أمر فاضح بشكل مميز. ولذلك فهو يستحق التسجيل. أو ربما أن الرجل الذي يتكلم مع ضابط شرطة بهذا لغة سيتعرض لعقوبة جسدية على يد ذات السلطات. وهكذا فربما شعرت النساء بحرية أكثر لشتيم السلطات. فببساطة لا يتم تسجيل استخدام الرجال للغة مشابهة. وتتم معاقبتهم على مخالفة النظام فوراً. في غرفة تحقيق أو زنزانة سجن. وليس في قاعة محكمة.

توفر هذه المشاهد وغيرها والتي تروي أنواع الأفعال -الإجرامية وغيرها- التي دعت لتدخل الشرطي. نوعاً من النافذة على الحياة الاجتماعية في يافا قبل النكبة. ورغم أن هذه الملاحظات مدونة في دفتر ملاحظات شرطي. فإنها تساعد على حفظ الحياة الكاملة والغنية لمدينة ضاعت. مكتملة ذكريات شخصيات كيويسف هيكل وشفيق الحوت وصلاح خلف (أبو إباد) وسلوى سالم ضمن آخرين.^{١٥}

إن دور الشروف كشرطي جعله على تماس أيضاً بالصراعات السياسية ما بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية. من جهة. وبين السكان الفلسطينيين. من جهة أخرى. ففي ٢٢ نيسان ١٩٤٥ م مثلاً. تم استدعاء الشرطة لفحص دليل يتعلق بصناعة قنبلة. وفي ١٥ آب من نفس السنة. أغارت الشرطة على بيت يحتوي كمية كبيرة من الديناميت. في هذه الأثناء. دون الشروف ملاحظة حول الإضراب الفلسطيني العام في ٣ أيار ١٩٤٦ م. وعن إضراب آخر في الذكرى السنوية لوعد بلفور. لكن ورغم أن شبح الحرب كان قد لاح فوق فلسطين في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ م. فقد استمر الشروف في عمله كضابط شرطة. وهو أمر لم يتعارض مع رؤيته للدفاع عن فلسطين كما سيتضح لاحقاً. لنتقل الآن إلى هذه المرحلة المفصلية. حيث قطعت فلسطين إرباً.

حرب عام ١٩٤٨

كانت إرهابات الحرب واضحة منذ بداية عام ١٩٤٨ م. سجّل الشروف في عدد من اليوميات. ابتداءً من شهر كانون الثاني ١٩٤٨. حوادث عنف في الفترة التي أصبح فيها الانسحاب البريطاني من فلسطين متوقفاً. في يوميات متعاقبة. يسجّل الشروف تفجيرات القدس التي قام بها المسلحون الصهاينة في بنك باركليز ومبنى

الحكومة العثمانية (٤ كانون ثاني) وفندق سميراميس (٥ كانون ثاني). في ذات الأثناء وقريباً من بلده يسجل الشروف في ١٤ كانون ثاني: «صباح اليوم قام المناضلون العرب بهجوم شديد على مستعمرة كفار عتسيون والمستعمرتين المجاورتين لها بجبال قضاء الخليل.» وبعد يومين في ١٦ كانون الثاني: «وقعت معركة كبرى بالقرب من قرية صويرف قضاء الخليل بين المناضلين العرب وعصابات الهاجاناه اليهودية. وقد قتل خمسون يهودياً وغنموا أسلحتهم.» وفي ٢٥ كانون ثاني. كتب الشروف من موقعه الذي يتيح له أفضلية كشرطي يعيش في اليازور: «بالساعة ١١.٣٠ صباح اليوم وقعت معركة بين المناضلين العرب والمجرمين اليهود على حدود قرية يازور ومستعمرة أغروبنك ودامت مدة ٣ ساعات.»

كنتيجة لتنامي عدم الاستقرار. أعاد الشروف عائلته من اليازور إلى نوبا في ٩ شباط ١٩٤٨ م. وقدم طلباً للانتقال من مركز شرطة يافا إلى الخليل في ٩ شباط. وتم نقله إلى مركز شرطة الظاهرية في منطقة الخليل في منتصف آذار. ومن الواضح أن الشروف لم يكن الوحيد في توقعه لنهاية الانتداب. في ٢٢ آذار. كتب الشروف: «بعد ظهر اليوم حضر أحد قواد الجيش العربي الأردني ورئيس بلدية الخليل وبعض وجوه الخليل ودورا. وقد تناولوا طعام الغداء عندنا بمركز بوليس الضاهرية بعد أن رفعوا العلم العربي الأردني على عمارة المركز.» وفي ٢٤ نيسان ١٩٤٨ م. وقبل ثلاثة أسابيع من النهاية الرسمية للانتداب البريطاني. يسجل الشروف: «حضر مساعد المدير العربي الياس أفندي حداد ومساعد المدير البريطاني المسترو واليمز وضباط البوليس العربي شحادة أفندي عناني ويوسف أفندي عمرو وعمران أفندي عمرو لمركز بوليس الضاهرية لأجل أن يستلم الأول مسؤولية إدارة قسم بوليس الخليل والمراكز التابعة له من الثاني. وبعد أن تناولوا طعام الغداء عند بدر أبو علان عادوا للخليل.»

في ١٥ أيار ١٩٤٨. تاريخ نهاية الانتداب رسمياً وإعلان دولة إسرائيل. يكتب الشروف:

«الساعة ١٢ ليلاً. ليلة ١٤-١٥ أيار ١٩٤٨ انتهى الانتداب البريطاني عن فلسطين وبعد ذلك الوقت مباشرة دخلت الجيوش العربية النظامية المؤلف من شرق الأردن ومصر والحجاز والعراق وسوريا ولبنان لتحريرها من الطغيان اليهودي.»

بالطبع. سيتلاشى لاحقاً تفاؤل الشروف الواضح. وسيصف أداء الأنظمة العربية في الحرب بمرارة. في ٤

نيسان ١٩٥٢ م. عندما أحضر يوسف بيك عباس العمرو. ممثل منطقة الخليل في البرلمان الأردني. وفداً من الصحفيين المحليين والعالميين ومن مسئولو الأمم المتحدة في جولة على قرى الخط الأممي. تحدث الشروف إليهم. بعد وصف الظروف الصعبة التي يصارع ضمنها فلاحو المنطقة. وصف الشروف هذا الوضع في يومية ٤ نيسان ١٩٥٢ م بأنه: «... خزياً وعاراً للدول العربية وقادتها الذين عجزوا عن حماية أراضيهم.» لكن الامتداد الكامل لخيبة الأمل من الفشل الجمعي للدول العربية أتى لاحقاً. وعندما وضعت المنطقة المحيطة بالخليل تحت قيادة عسكرية مصرية في ٥ حزيران. ذهب الشروف ليخبر المصريين أنه يريد أن يستمر في تقديم خدماته كشرطي. وحسب الوضع السائد لم يكن مفاجئاً أنه رأى هذه الخدمة كجزء من الجهد الحربي العربي.

خلال الحرب. اشترك الشروف في جهود متعددة لتنظيم الدفاع عن القرى المحيطة بالخليل. في ١٩ تموز على سبيل المثال سافر مع مجموعة من الوجهاء من نوبا إلى بيت أولا والتقى بأفراد من عائلة العملة لتنظيم حراسة قروية للقرى المحيطة. وفي ١٤ آب ١٩٤٨ م حضر محمد عبد الهادي العملة للبلدة وبحث مع الشروف قضية «تنظيم حرس القرية وشراء الأسلحة.»

شارك في هذه الجهود الهادفة لحماية قرى المنطقة وجهاء القرى. وأحياناً أفراد من القوات العربية المسلحة. وغالباً رجال شرطة آخرون. لا يجب أن يكون هذا الأمر تحديداً مثار استغراب. لأن رجال الشرطة الفلسطينيين كان لديهم بعض التدريب في هذا المجال. وكان لديهم بعض التنسيق مع الجيوش العربية وإمكانية الوصول للأسلحة. ويبدو مما سجله الشروف. أن بعض مراكز الشرطة. كمركز بيت جبرين. أصبحت نقاط ارتكاز في محاولات تنظيم دفاع عن القرى الفلسطينية. ففي مساء ١٣ آب ١٩٤٨ م. على سبيل المثال. «مساء اليوم حضر الى مركز بوليس بيت جبرين فرقة من المتطوعين الفلسطينيين وأكثرهم من أبناء يافا.»

لاحقاً في ٢٤ تشرين أول. «نزلت قوات أردنية مع مدفعية ومدركات إلى مركز بوليس بيت جبرين.» وقد وقع قتال عنيف خلال الأيام التالية في بيت جبرين وحولها. وعلى الرغم من أن الشروف لا يذكر بتاتا مجزرة الدوايمة التي وقعت في ٢٨-٢٩ تشرين أول ١٩٤٨ م.^{١١} فإن وصفه للقتال الشديد قرب بيت جبرين في ٢٧ تشرين أول. وحديثه عن انضمامه للمسلحين المدافعين عن الدوايمة بما فيهم مختارها حسن محمد هديب. في

مطلع أيلول ١٩٤٨، يقدم بعض الشرح حول التطورات في المنطقة والسياسي الذي حدثت فيه المجزرة.^{١٧} كما يمكن لما سجله الشروف حول تحرك الجبهة بين الصهاينة والعرب وحول التنسيق بين القوات العربية المختلفة أن يساعد في استكمال المصادر كمذكرات بهجت أبو غربية^{١٨} الذي التقاه الشروف في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٨ م.

لكن في نهاية الأمر، تقدم لنا يوميات الشروف منظوراً للنكبة يختلف بطرق عدة عن كل من التاريخ السياسي والعسكري لعام ١٩٤٨، وعن روايات اللاجئين الذين رُفِّتْ لحظة الاقتلاع بالنسبة لهم قرار عائلاتهم بالهرب من منازلهم في يافا وحيفاً. وفي عدد كبير آخر من المدن والقرى الفلسطينية. عكس الروايات السابقة، التي تسرد العنف عبر فلسطين بوصوله ذروته المسعورة، منتقلاً من مواجهة إلى أخرى، راسماً سلسلة من الدفاعات الحماسية والمجازر والهزائم، فإن يوميات الشروف تبقى مرتبطة بشكل كبير بمكان واحد. بهذه الطريقة، يصل القارئ لتجربة أثر حرب عام ١٩٤٨ على المستويين الفردي والمحلي، بلحظات النشاط وقلته. لحظات المواجهة تخللها ليالٍ طويلة هادئة فيها مهام الحراسة، وأيام الدوريات، والمحاولات المتقطعة للمحافظة على القليل من مظاهر الحياة «العادية». في يومية للشروف بتاريخ ٥ حزيران ١٩٤٨ على سبيل المثال، وهو ذات اليوم الذي كتب فيه ديفيد بن غوريون في يومياته «تستمر عملية التطهير»^{١٩} يعكس ما كتبه الشروف المخاوف المتداخلة لقروي فلسطيني:

٥ حزيران ١٩٤٨: كبرتت البندورة ثاني مرة والكوسا أول مرة وكبرتت أيضاً آخر قسم من شجر العنب. حضر الحاكم العسكري المصري أحمد سالم باشا واستلم مهام منصبه كحاكم عسكري للخليل والقضاء وقد جرى له احتفال مهيب.

يجسد تجاور المهام اليومية المتعلقة بالزراعة مع التطورات السياسية خلال الحرب على فلسطين. حقيقة الحرب بالنسبة لشخص في وضع الشروف، والذي يحظى لديه كل من محصول ناجح وإنقاذ فلسطين بأهمية كبيرة. وليس أمرين متناقضين. لكنهما جانبين للهدف النهائي: البقاء على الأرض.

يعطي نجاح الشروف بالقيام بهذا الأمر لهذه اليوميات منظوراً مختلفاً عن تلك المذكرات الخاصة بالنكبة والتي كتبها فلسطينيون حوّلتهم القوات المسلحة الصهيونية إلى لاجئين. غالباً ما تقدم هذه

المذكرات النكبة كفاصل نقي، يفصل حياة ما قبل النكبة عن حياة التهجير والمنفى، أو الاغتراب الذي تلاها. وغالباً ما يستدعي كتاب هذه المذكرات اليوم وحتى الساعة التي تشير إلى الانتقال من السابق إلى اللاحق. في حالة هذه اليوميات تسير النكبة بحركة بطيئة، خلال الحرب والتراجع الثابت الجائر لظروف معيشة القرويين الفلسطينيين في نوبا والمنطقة المحيطة لاحقاً. ركز الشروف كفرد جهوده على تحسين مصير هؤلاء القرويين، وهو نشاط جعله على تماس دائم مع السلطات الأردنية التي أحكمت سيطرتها على الضفة الغربية. ستوضح الأقسام التالية علاقة النزاع أحياناً ما بين فلسطيني الضفة الغربية والسلطات الأردنية، وستوضح الأقسام التي تليها جهود الشروف فيما يتعلق بقريته.

الإدارة الأردنية

في اليوم الأخير من شهر نيسان ١٩٤٩ م، انسحبت القوات المصرية من مناطق الضفة الغربية التي قادتھا خلال الحرب وسلمتها للسلطة الأردنية. يكتب الشروف: «صباح اليوم تركت البلدة للخليل بالسيارة وتناولت طعام الغداء بدار أبو تيسير وبعد الظهر حضرت قافلة سيارات مصرية من طريق بئر السبع لنقل القوات المصرية من منطقتي الخليل وبيت لحم، وبالساعة الخامسة مساءً أنزل العلم المصري عن سرايا الحكومة بالخليل وبنهاية هذا اليوم تنتهي الإدارة المصرية عن تلك المنطقة ليحل محلها إدارة أردنية.» ويتاريخ ١ أيار ١٩٤٩ م، تسجل يوميات الشروف استقالته من قوة الشرطة:

صباح اليوم الباكر تركت دار أبو تيسير للسوق، ومن ثم ذهبت لمركز البوليس بالخليل واستلمت سجل خدمتي، وبذلك انتهت خدمتي من البوليس بمحض إرادتي. وبعد الظهر تركت الخليل بالسيارة لترقوميا، وقد شربت القهوة والشاي بديكان أبو فتحي، وبعد ذلك تركتهم للبلدة، وقد زرنا قسم آخر من البندورة، غادر الخليل أول فوج من القوات المصرية عائداً لبلادها.

ليس هناك الكثير مما يشير لدوافع الشروف لمغادرة الشرطة، لكن يمكن للمرء أن يستنتج من التوقيت، أي

تزامن الاستقالة مع نهاية الحكم المصري. أن الشروف فضل ألا يخدم تحت الإدارة الأردنية. في الحقيقة. لقد بدأ الحكم الأردني بداية صعبة ومترنحة عندما احتلت قوات أردنية مسلحة في ٢٩ آذار ١٩٤٩ م المحكمة الشرعية وفتشت مدرسة البنات في الخليل. لقد شجع هذا الأمر على عقد اجتماع لموظفي الإدارة المصرية السابقين والذين اتفقوا على إضراب عام لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم التالي:

٣٠ آذار ١٩٤٩: بالساعة ٩ صباح اليوم عقد جميع موظفي دوائر الخليل اجتماعاً في قاعة المدرسة الثانوية بالخليل احتجاجاً على الأعمال التي قام بها الجيش الأردني في المحكمة الشرعية ومدرسة الإناث بالخليل. وبعد فض الاجتماع قام الموظفون جميعاً بمظاهرة سلمية اخترقت شوارع الخليل. وبالقرب من الحرم الإبراهيمي أطلقت على المتظاهرين عدة طلقات نارية من بعض التابعين للحكومة الأردنية. ومن ثم عادت المظاهرة إلى مقر القيادة المصرية وقدم احتجاج للحاكم المصري.

أخيراً هدأت الأوضاع. ومع تنازل المصريين للأردنيين عن السلطة الإدارية. لم يكن هناك بديل جاهز. لكن التوتر المترسب بين السلطات الأردنية وفلسطينيي الضفة الغربية تحت إدارتها استمر وانفجر بشكل مفتوح مع اغتيال الملك عبد الله في المسجد الأقصى بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٥١ م.

ليس هناك في يوميات الشروف أية تسجيلات له في الفترة ما بين تلك الخاصة بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥١ م. التي يشير فيها إلى اغتيال رياض الصلح. رئيس الوزراء اللبناني آنذاك. والذي كان يفترض بعبد الله تأبينه في القدس في نفس اليوم الذي اغتيل فيه. وبين ٣ آب ١٩٥١ م. لكن. من أكثر اليوميات إثارة للفضول يومية ٢٧ آب ١٩٥١ م. قبل يوم من الحكم على من اتهموا بالتآمر للقيام بالاغتيال.^١ ففي هذه اليومية يذكر الشروف اتهامه بالتآمر للإطاحة بالحكومة الأردنية:

وبأثناء وجودي في العمل حضر لي طلب من مخفر صوري وفي الحال ذهبت إليه ولم أمكث به إلا قليلاً من الوقت. ومنه ذهبت إلى الخليل عن طريق بيت أومر وفي عمارة الحكومة وجدت إسماعيل عبد الفتاح تيم والحاج محمد تيم وعبد اللطيف عبد الرحمن ومحمد عبد

اللطيف عبد الله ومحمود علي محمود ومحمد الحاج عبد ربه ويوسف العبد وعودة إبراهيم عودة وسليم محمود إبراهيم. وجميعهم من نوبيا. ماعدا السباع فهو من قرية زكريا. حيث أننا جميعاً مطلوبين إلى قائد المنطقة. وقد وجه لنا تهمة بأننا بليلة ٢٣-٥١/٨/٢٤ عقدنا اجتماع بقريتنا وتأمرونا على سلامة الحكومة الأردنية والقيام بثورة وإحداث انقلاب عليها. وذلك على أثر ورود أخبار كاذبة إلى السلطات الحكومية بذلك. وبعد ذلك أحالنا إلى مكتب التحقيق وأخذت إفاداتنا من طرف وكيل الضابط محمد أفندي الناظر. وقد أثبتت نفسي بأنني بليلة ٢٣-٥١/٨/٢٤ كنت نائم في كرم عبد الرزاق العرعر شرقي صوري فبشهادة أحمد محمد فقور من ترقوميا. وبعد ذلك تركنا عمارة الحكومة إلى السوق. وركبت الأول والثاني والرابع والخامس والسادس والتاسع بسيارة تكسي إلى نقطة حلحول. فأنا بوحدتي نمت بدار محمود سلامة أحمد من تل الصافي. والآخرين ناموا في محلات متفرقة.

يبدو من الواضح في اليوميات أنه بعد بضعة أيام. وتحديداً في ٣١ آب. اتهم أحد المتأمرين المزعمين. عودة إبراهيم عودة. آخرين من المجموعة بتهدده بالقتل:

وأنا في العمل حضر لعندي إسماعيل عبد الفتاح تيم وذهبت وإياه إلى مخفر صوري حيث كان بانتظارنا محمد عبد اللطيف عبد الله وقد أخذ علينا [...] جاويش المخفر تعهد بعدم الاعتداء على عودة إبراهيم عودة. حيث أن عودة المذكور قدم ضدنا نحن الثلاثة المذكورين والحاج محمد عبد الفتاح تيم أخبار كاذبة إلى قائد المنطقة في الخليل بأننا الأربعة هددناه بالقتل. وذلك التعهد بخمسين جنيه فلسطيني على كل واحد منا.

رغم أن الشروف لا يربط بين الادعاءين بشكل واضح. فإذا نظرنا لوجود الادعاء ضد كل من شملتهم الاتهامات الأولى بالتمرد ضد الحكومة الأردنية. فإن المرء لا يمكنه إلا أن يربط بين الأمرين. ولا يذكر الموضوع مرة أخرى إلا بشكل غامض إلى حد ما في يومية ٢ أيلول

محنة قرى خط المواجهة

على الرغم من وقوع قرية نوبا والقرى المجاورة خارج حدود دولة إسرائيل المعلنة حديثاً إلا أنّ سكانها وفي أعقاب عام ١٩٤٨ واجهوا صعوبات مستمرة. وكما ذكر آنفاً فإنّ الشروف نفسه خسر غالبية أراضيها في الحرب. وهو لم يكن الوحيد الذي خسر أراضيها. في يوميات ١٨ و٢١ نيسان ١٩٤٩ م. يذكر الشروف سجلاً للأراضي التي أخذت من القرويين. وفي يوم ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ م. كتب الشروف: «وجدنا أنّ مساحة الأرض خاصة قرية نوبا التي تحت احتلال العدو (١٦.٠٠٠) دونم أرض». أو ما يقارب من ٤٠٠٠ فدان. وفي ٨ نيسان ١٩٥٤ م. كتب أنّ ٩٨٠ من أصحاب الأراضي في نوبا. أي ما يقارب نصف سكان القرية. خسروا أراضيهم لصالح دولة إسرائيل.

أضاف تدفق اللاجئين ضغوطاً اقتصادية واجتماعية أخرى على القرويين. وفي الرسالة المذكورة أعلاه والمرسلة إلى الحاكم ومفتش منطقة التعليم. يشدد الشروف على ضرورة توسعة المدرسة المشتركة بين خاراس ونوبا «لأنّ غرفة واحدة لمدرسة قريتي نوبا وخاراس عدد سكانهما ألفين وخمسمائة نسمة تقريبا عدا اللاجئين الذين يقدر عددهم بنصف عدد سكان القريتين لا تكفي لأنه يوجد عدد كبير من أبناء القريتين غير طلاب المدرسة المسجلين يتسكعون في الشوارع بدون تعليم وهذا يرجع لضيق المدرسة مع العلم بأنّه يوجد تحت تصرفنا غرفتين صغيرتين بأجار سنوي قدره عشرون دينار أردني وهما غير صالحتين للاستعمال». مع ذلك. وبالرغم من أن التدابير الاحتياطية للتعامل مع اللاجئين وضعت من قبل مؤسسات الأمم المتحدة. إلا أنه لم يكن هناك أي اهتمام بسكان قرية نوبا والذين يعتبرون من الناحية الفنية لاجئين. يعود الشروف مراراً وتكراراً لهذه الفكرة تحت عناوين مختلفة في كتابته إلى الجمهور. سواء كانوا مسؤولين حكوميين. أو صحفيين. أو ممثلي منظمات المساعدات الدولية. وقد كرر نفس الصيغة في عدد من القرى. مقارنةً بذلك محنة زملائه الفلسطينيين في قرى خط المواجهة. مع أولئك النازحين من القرى التي احتلتها إسرائيل:

لأنّ أغلبية سكان هذه القرى يتألمون من شدة الجوع والحرمان وفقدان الأشغال وكثير منهم أصبحوا يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء يشاهدتهم المرء جياعاً نصف عراء. مناظر مؤلمة ومأسى تثير في القلب الحزن والأسى.

١٩٥١ م: «اجتمع عندي بالدار الحاج محمد عبد الفتاح تيم وإسماعيل عبد الفتاح تيم ومحمود علي محمود ومحمد عبد اللطيف عبد الله وعبد اللطيف عبد الرحمن وسليم ومحمد ولدي محمود إبراهيم سالم وتحديثنا في مسألة الأخبار الكاذب الذي قدم ضدنا الى قائد منطقة الخليل وبعدهما شربوا القهوة ذهبوا.»

مهما كانت التفاصيل غير المعروفة في هذه الحالة تحديداً. كما مع مسائل أخرى. فإنها تلقي الضوء على القمع السياسي الذي تعرض له الفلسطينيون على يد السلطات الأردنية في أعقاب اغتيال عبد الله. وفي ذات الوقت فإنه من الواضح كيف تتشابك المجالات العامة المتعددة الخاصة بحياة الشروف. فالسياسات الإقليمية التي شملت الإدارة الأردنية للضفة الغربية واغتيال الملك عبد الله أصبح لها معنى لدى الشروف وغيره من الأفراد عبر تفاعلهم مع السلطات المحلية. كقائد منطقة الخليل. بينما وفي نهاية الأمر تغطى تفاصيل علاقة الصراع ما بين الأفراد والدولة ضمن سياسات القرية في نوبا وصوريف والديناميات الداخلية لحامولة الشروف.

ومهما كانت درجة الكراهية تجاه الحكم الأردني للضفة الغربية بشكل عام. فقد كان الشروف مدركاً أنّ الحكم الأردني كان حقيقة يجب مواجهتها وأنه لا يملك خياراً إلا أن يتوصّل إلى تعايش ما معه. في الحقيقة أنّه من المهم ملاحظة حساسية الشروف تجاه مستمعيه خلال خطابين مختلفين خاصين بموضوع التعليم. فخلال خطاب موجه لسكان تجمعوا في حفل نهاية العام في مدرسة القرية التي كانت تخدم نوبا وخاراس. حضّ الشروف الطلاب على أن «الغرض من التعليم ليس محو الأمية وتعليم الطلاب القراءة والكتابة والحساب فقط. إنما هو إعداد جيل جديد يقوى على الحرية والاستقلال التام.» لكن عندما زار المدرسة حاكم منطقة الخليل ومحمود بيك الظاهر ومفتش التعليم في المنطقة محمد بيك الظاهر. فقد تمنى لهما الشروف بلطف التوفيق في عملهما. «وختاماً أرجو لكم التوفيق في أعمالكم ولمدرستنا التقدم والازدهار وبلادنا الحرية والاستقلال تحت ظل مولانا صاحب الجلالة طلال الأول والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.» ويعطي هذا الكلام لمحة ما عن ذكاء الشروف كمدافع عما رآه حقوقاً وضروريات لقرويي نوبا. وقرى الخط الأممي بشكل عام. وللفلسطينيين بشكل أوسع. بعد النكبة ظهر الشروف كمدافع لا يكل عن جيرانه ومحيطه ومواطنيه الفلسطينيين.

على الرغم من أن تأثير هذا الاجتماع لم يكن واضحاً. إلا أنه من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن عدداً من تلك الشروط بطريقة أو أخرى قد تحقق فعلاً. ففي ٤ نيسان ١٩٥٢ م. وعلى سبيل المثال. قام وفد يضم صحفيين وممثلين عن الأونروا. وعضو البرلمان الأردني يوسف بيك عباس عمرو في جولة في قرى خط المواجهة ليروا بأم أعينهم. وليسمعوا من نشطاء أمثال الشروف. عن ظروف تلك القرى. أيضاً قامت الحكومة الأردنية بوضع الفلسطينيين العاطلين عن العمل في الضفة الغربية في مشاريع إعادة بناء الطرق. وكان الشروف نفسه من أوجد العمل في الطرق في محافظة الخليل لهذه الطواقم. وفي حين أن الأمم المتحدة لم تعترف بالقرويين في قرى خط المواجهة كلاجئين. فإن الشروف نفسه قد بذل الجهود ولسنوات لعدة ليحقق هذا الاعتراف له ولعائلته. وأيضاً. وعلى الرغم من عدم وجود برنامج قروض زراعية شاملة من قبل الحكومة الأردنية. وبالتحديد للقرويين في مناطق خط المواجهة. فإن الشروف واصل الضغط على الحكومة وممثليها فيما يتعلق بهذه المسألة.

في مقدمة الظروف الاقتصادية السيئة والتي بموجبها كافح القرويون في خط المواجهة. تبين لنا يوميات الشروف بوضوح. أنه على الرغم من أن الحرب قد انتهت إلا أن المنطقة نفسها ظلت في حالة من انعدام الأمن. واصلت القرية مواجهة هجمات عبر الحدود من قبل القوات الصهيونية في العام ١٩٤٩ م حتى أوائل ومنتصف فترة الخمسينيات. في ٩ تشرين الأول عام ١٩٥٢ م سجل الشروف اجتماعاً مع ممثل من البرلمان الأردني. النائب يوسف عباس عمرو. والمختير ووجهاء صوري في مقر الحرس الوطني في القرية لمناقشة «مسألة الاعتداء التي قام بها اليهود الليلة الماضية على مشارف صوري». ويسجل الشروف أيضاً أن يوسف عباس عمرو قد ذهب إلى قرية إدنا:

وبعد الظهر تركت الخليل بسيارة تاكسي مع النائب يوسف عباس عمرو لقرية صوري وبمقر قيادة الحرس الوطني في القرية اجتمعنا مع مختاري القرية ووجهها وجرى البحث في مسألة التعدي الذي وقع من طرف اليهود في الليلة الماضية على أطراف قرية صوري. وبعد أن شربنا الشاي ركبنا السيارة لقرية خاراس ومنها لقرية نوبا وهناك نزلنا من السيارة بعد أن دعيت النائب السيد يوسف عباس لداري فاعتذر وتابع سفره لقرية إدنا لأخذ معلومات

يعيشون في بيوت صغيرة تتخللها من بعيد قبورا لولا هذه الأشباح التي تغدو وتجيء فيها ومن حولها. وإن الأمراض الفتاكة انتشرت أو كادت تنتشر بين صفوفهم بصورة واسعة. لكن اللاجئيين الحقيقيين أحسن منهم حالا وأهدأ منهم بالا. لأن اللاجئيين الحقيقيين يتناولون مخصصاتهم الشهرية من المؤن فتكفيهم معظم أيام الشهر إذا ما كان كله. أما سكان هذه القرى فبعضهم أو معظمهم يمضي عليهم اليوم واليومين دون أن يجدوا لقمة خبز أو حبة تمر يسدون بهما رمقهم وأصبحوا لا يقتاتون إلا الأعشاب. فالذي فقد أرضه وجميع ما كان يملكه من أموال منقولة ولم يبق له إلا البيت الحقيقير الذي يسكن فيه فمن أين له أن يعيش لأن البيت الحقيقير الذي يسكن فيه لم يدر له لبنا وخبزا.

في اجتماع كبير ضمّ ممثلي الحكومة من محافظة الخليل والمختير ووجهاء قرى خط المواجهة والذي عقد في ١٧ من شباط ١٩٥٢ م. أوجز الشروف خطة شاملة للغاية تتكون من خمس نقاط لتوفير إغاثة اقتصادية بشكل خاص لهذه الفئة من السكان المتضررين:

فإني أقترح عليكم أيها السادة بما يلي: (١) الإبراق حالا إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة وإلى رئيس وكالة غوث اللاجئين الدولية في بيروت شارحين حالة سكان القرى الأمامية بلواء الخليل واعتبارهم لاجئين. (٢) الطلب من الحكومة الأردنية تأليف لجنة مؤلفة من الحكومة ومن نواب هذه المنطقة ومن رجال وكالة غوث اللاجئين للطواف على هذه القرى الأمامية ليروا بأعينهم حالة سكانها السيئة. (٣) الطلب من الحكومة فتح مشاريع إنشائية لتعمير الطرق وغيرها في هذا اللواء ليستطيع الرجال العاطلون عن العمل من العمل في تلك المشاريع. (٤) الطلب من الحكومة إعطاء سكان القرى الأمامية في هذا اللواء قروض زراعية كبيرة وطويلة الآن بصورة مستعجلة لإدارة شؤونهم الزراعية وغيرها. (٥) الطلب من الحكومة توزيع القمح المجاني على سكان هذه القرى بالتساوي حسب نسبة السكان لأنهم جميعاً في النكبة سواسية. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

عن حادث التعدي الذي وقع على قرية إدنا من طرف اليهود منذ ثلاثة ليالي مضوا ومنها سيعود للخليل.

ونتيجة لهذه الهجمات اجتمع سكان قرية نوبا في ١٢ تشرين الأول. حيث قدمت قائمة من ٩٠ رجل من القرية للقيام بواجب الحراسة الليلي. في ٢٧ شباط عام ١٩٥٣ م. وصل اثنان من أعضاء الجيش الأردني لتدريب ٢٤ شاباً من القرية للحرس الوطني. ومع ذلك فإن هذا لم يمنع استمرار اعتداءات القوات الإسرائيلية. وفي ١٧ شباط ١٩٥٤ م قضى الشروف الليل في لعب بطاقات الورق مع معلمي مدرسة القرية:

وبهذه الليلة وحوالي الساعة التاسعة مساءً هاجم جماعة من المتسللين اليهود دار إبراهيم عبد ربه جبرين من خاراس الواقعة في الجهة الغربية من قرية خاراس ونسفوا عتبة باب الدار والباب الخشبي ودخلوا على إبراهيم المذكور وأطلقوا الرصاص عليه وعلى ولده البالغ من العمر اثني عشر سنة وتوفي الأول في نفس الوقت وجرح الثاني ونقل للمستشفى بالخليل.

على الرغم من محاولات أخرى لتنظيم وتدريب القرويين من أجل واجب الحماية المحلية والوطنية. إلا أن الحكومة الإسرائيلية كانت قادرة على شن الهجمات والإفلات من العقاب.^{١٢} وبالفعل فإن الشروف أصرّ تماماً على أن تمكين الفلسطينيين لم يكن في المقام الأول ليأتي من خلال الجيش أو منظمة عسكرية. وهي القضية التي كانت في كل الأحوال تعتمد على الحكومة الأردنية للتدريب والأسلحة. ولكن التمكين يأتي من خلال التعليم. وواحدة من الاهتمامات الخاصة لدى الشروف شعوره بأن التعليم عملية تحويلية واحدة. والتي حين تتشابك فيها المعرفة والحداثة من شأنها أن تحول المحلي. أي القرية. إلى وسيلة نحو تحول المجتمع بشكل عام. في خطابه في احتفال نهاية الفصل في مدرسة نوبا وخاراس في ١٩ حزيران عام ١٩٥٣ م يحدد شروف هذا المفهوم ببلاغة واضحة:

إخواني. لا أعالي إذا قلت أنّ الجهل والحيوانية وإنّ اختلفا في اللفظ هما صنوان أو توأمان من أرومة واحدة. فكلما تقرب المرء نحو العلم ابتعد عن الحيوانية وكلما ابتعد عن الجهل والخمول تقرب الى الانسانية. فالانسان إنما هو انسان بتفكيره وعلمه. إننا نريد أن يكون

أبناؤنا متعلمين لا جهلة خاملين. إننا نريد القرية العربية أن تكون أحسن قرى العالم حالا وأنعمها بالآ. وباستطاعتها أن تكون كذلك لو تيسر لها من يخلص في عمله في سبيل تعليم أبنائها التعليم الصحيح. فإنّ القروي يتمتع بقسط وافر من الذكاء. وهو من أمة عرفت بماضيها المجيد. وإذا أخلص المسؤولون في تأدية هذا الواجب المقدس في تعليم أبناء هذه القرى استطاعوا أن ينهضوا بقراهم ويرفعوا من شأنها. ومن أولى من المعلمين أنفسهم أن يتولوا هذه المسؤولية وقد خبروها في حياتهم اليومية وعرفوا الصالح والطالح من النظم وتلمسوا النتائج بأعينهم. وهم الأمناء على أبنائنا ومسؤولون أمام الله والتاريخ في تأدية هذا الواجب. لأن القرية هي نواة الحياة القومية وهي العماد التي يرتكز عليه تقدم البلاد ورفيها. وإذا ما شاعت أمة أن ترتقى وتحتل مركزاً لائقاً بها بين الأمم وجب عليها أن تهتم بأبنائها لتعليمهم التعليم الصحيح.

أولاً: يجب التأكيد مرة أخرى على أن اللبنة الأساسية. حسب نظرة الشروف. في بناء الأمة هي القرية. وضمن هذا المفهوم لم تكن مناصرة الشروف لنوبا أمراً محصوراً بها. بدلاً من ذلك كانت فقط من خلال عملية التحول على المستوى المحلي والتي تساهم في التقدم على المستوى الوطني. لا يمكن فصل معنى أن يكون المرء فلسطينياً بالنسبة للشروف عن تجربته كقروي من نوبا. وبدون فهم هذا الأمر الأخير فهماً حقيقياً (ويتوفر في اليوميات معلومات قيمة حول هذا الأمر) فإنه من المستحيل أن يكون للأمر الأول معنى. ثانياً. من المهم النظر إلى الجوانب المتعددة المتعلقة بالتعليم في خطاب الشروف. معنى التعليم أكثر من القراءة والكتابة والحساب. ويدل اقتران الجهل بالكسل على الدرجة التي يجب أن يرقى إليها التعليم كمشروع شامل لإنتاج جيل جديد من القرويين. ولعله ليس من المستغرب أن الشروف أيضاً كان من المدافعين عن فكرة إنشاء فرع لنادي رياضي في محافظة الخليل. وقد كتب في ١٧ كانون الثاني ١٩٥٢ م حول «تشجيع وبث الروح الرياضية بين شباب القرى»^{١٤} هذا النداخل المعقد ما بين التعليم والرياضة والتقدم الاجتماعي يمكن قراءته في يوميات كتلك الخاصة بيوم ١٤ حزيران ١٩٥٥ م:

ذهبت للخليل لحضور المهرجان الرياضي لمدارس لواء الخليل بناء على دعوى رسمية. وإلى سليم محمود ومحمود علي. وبعد انتهاء العرض عدت للبلدة وكان معي فيصل وعبد الهادي. وكان مهرجانا رائعا ظهرت فيه المرشحات طالبات إعدادي باللبسة الكشافة ومحملين الأسلحة السريعة لأول مرة في تاريخ الخليل واللواء.

ونظراً لسمعة الخليل المحافظة اجتماعياً كان هذا العرض موضع اهتمام خاص. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن القرويين في نوبا وخاراس. وللتين كانتا من المناطق الريفية في منطقة الخليل. وأكثرها تأثراً بالمحافظة الاجتماعية. قد قررتنا الضغط على الحكومة لفتح مدرسة للبنات في القرية بتاريخ ١٧ أيار ١٩٥٢ م. إذا ما تحركنا بعيداً عن الصور النمطية وعن المقاربات السطحية للتقدم والحداثة في النخب الحضرية. يمكن اعتبار أن النظرة الشاملة التي طرحها الشروف للتعليم في هذه المدخلات تبدو أقل من المستغرب أو غير عادية.

أخيراً: تجعل يوميات الشروف من الواضح أن التعليم لم يكن شيئاً نظرياً من أجل النقاش أو الثثرة. الشؤون التي تطلبت الاهتمام المستمر وتوسيع الخدمات اللوجستية. بما في ذلك استئجار صفوف دراسية إضافية. توظيف المزيد من المعلمين. وتوسيع عدد الصفوف. تطلبت في كثير من الأحيان وساطة ما بين القرويين والحكومة الأردنية. وبالتالي فإن التزام الشروف بالتعليم لم يكن فقط من خلال الخطابات العامة. بل في التفاوض المستمر مع السلطات والضغط عليهم لتوفير المواد اللازمة لدعم التعليم في القرى. وفي أعمال حفر الآبار للمدارس. أو التبرع ب ٥٠٠ فلس في حملة لجمع التبرعات للمدرسة والتي عقدت يوم ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٥٢ م. كما أنه في بعض الأحيان كان يقف في مواجهة معارضين في القرية والحمولة. ففي يومية ٩ تشرين الأول عام ١٩٥٢م^١ يصف الشروف ذهابه إلى الخليل مع عدد من القرويين للقاء مسؤولين مختلفين في وزارة التربية والتعليم لطلب إضافة الصف السادس إلى المدرسة. وبعد اجتماعات عدة. «قابلنا سكرتير المتصرف سعدي أفندي طهبوب وقدمننا له عقد أجار غرفة الشيخ حسن خير الدين للصف السادس. وأعرضها على المتصرف وقد اطلع على ميزانية القريتين. وافق المتصرف على فتح الصف بمدرسة قريتنا وبذلك العمل قضينا على حركة

المعارضين على فتح الصف. والمعارضين هم عبد اللطيف عبد الرحمن وأقاربه الثلاثية عموماً. ومحمود إبراهيم سالم وأقاربه عموماً. وجميع الشروف ماعداً أنا.»

التزام الشروف بالتعليم بين القرويين أظهر بوضوح الجهود التي أوقعته في تماس مع أفراد عائلته. وليست المرة الأولى التي يوضع فيها بالمواجهة مع مختار نوبا محمود إبراهيم سالم. مهما كانت جذور المعارضة قوية لمدرسة القرية (على الأرجح أنها نابغة من التكاليف الإضافية التي ارتبطت بهذا التوسع) ليس من المستغرب وبالنظر إلى الطاقة التي لا هواة فيها والجهود الذي كرس من أجل هذه القضية أن الشروف قد أظهر الشعور بالانتصار. ونظراً لرأيه في التعليم. والذي كان حجر الزاوية في تنمية القرية. والتي كان يعتبرها نواة الحياة الوطنية. ليس من المستغرب أنه كان على استعداد لتكريس جزء من وقته وطاقته في هذا السبيل. إذا كان هذا يعكس مدى التزام وتفاني الشروف تجاه قرية نوبا. فإنه من المؤسف أننا سننتقل الآن إلى الفقرة الأخيرة من مذكراته والتي كتبت في الأساس في الرصيفة. وهي مدينة صناعية تقع بين عمان والزرقاء. في الأردن.

من الضفة الغربية إلى الشرقية

في ٤ نيسان ١٩٥٤ م وفي رسالته إلى الصحفيين ومسؤولي الأونروا المذكورة أعلاه. حذر الشروف من أن الظروف في قرى خط المواجهة لا تطاق وأنها تجبر الفلسطينيين على ترك منازلهم وقراهم في الضفة الغربية وعبور نهر الأردن إلى ضفته الشرقية الآمنة. وقد أبلغ مستمعيه:

أما سكان قريتي نوبا فهي لا تقل سوءاً عن حالة سكان هذه القرى بل تزيد. لأن نصف سكانها تقريباً نزحوا عنها منذ سنتين ولجؤوا إلى الضفة الشرقية من المملكة. فبعضهم يسكن في المغادر والكهوف وتحت ستارات الخيش. وبعضهم هائمون على وجوههم لم يجدوا قوت يومهم. وهم ينامون الليال الطوال على ألم الجوع والحرمان وتحت رحمته الطبية. وما هم إلا هياكل عظمية بلا لحم ولا دم. وإذا بقى الحال على هذا المثل سنة

أخرى فإن البقية الباقية من سكان قريتي هذه سيضطرون إلى ترك قريتهم والانضمام إلى أخوانهم من أبناء قريتهم الذين أتعسهم سوء الطالع ولجؤوا إلى الضفة الشرقية من هذه المملكة. أما يحيى سوى^{١١} أو يموتوا سوى ويتركوا الدار تنعى على الذي بناها.

يمكن للمرء أن يقرأ في بيان الشروف الكثير من التعاطف مع أولئك القرويين من الضفة الغربية والذين اضطروا إلى طلب اللجوء عبر الأردن. كذلك تحذيره بالقول إن ما تبقى من فلسطين تحت الحكم العربي من الممكن أن يضيع. ولقد كان تخوف الشروف مقدمةً لانتقاله من قرية نوبا إلى الأردن في عام ١٩٥٥ م من أجل العمل في الرصيفة.

في ٧ آب عام ١٩٥٥ م أصبح محمد عبد الهادي الشروف موظفًا رسميًا في شركة مناجم الفوسفات الأردنية. وسجل ككاتب في مكتب النقل. براتب ٣٠٠ فلس يوميًا (للإشارة إلى قيمة هذا الراتب فإن سيارات الأجرة التي أخذها الشروف من القدس إلى عمان خلال هذا الشهر كلفته بالشراكة مع الآخرين ٥٠٠ فلس). من هذه النقطة تصبح يوميات الشروف أقل تواترًا وأقل انخراطًا في شبكة من العلاقات. والتي اتسمت بالغنى خلال حياته في قرية نوبا. فأصبح تركيزه بذلك على أمواله وعمله. وبعض من زيارته النادرة إلى عائلته.

مع ذلك لا يزال الشروف حريصاً على مراقبة تطورات الأوضاع السياسية. ففي أواخر كانون الأول عام ١٩٥٥ م على سبيل المثال. سجل الشروف قرار الملك الأردني بحل حكومة هزاع المجالي. وتشكيل حكومة جديدة برئاسة إبراهيم هاشم. وكتب معلقاً: «استقالت وزارة هزاع المجالي وعهد جلالة الملك للسيد إبراهيم هاشم بتأليف وزارة انتقالية وبعد مشاورات تألفت الوزارة من السيد إبراهيم هاشم رئيساً وسمير الرفاعي للخارجية وفوزي الملقى للدفاع وعمر مطر للداخلية وفلاح المدادحة. وسعيد علاء الدين للاقتصاد وحسين فخري الخالدي للصحة والشؤون الاجتماعية وهاشم الجبوسي. وخلوصي الخيري للمالية وأنسطاس حنانبا. وعلى أثر ذلك انتهى الإضراب والمظاهرات في جميع أنحاء البلاد وأفرج عن جميع المعتقلين». استمرت الاضطرابات حتى أوائل عام ١٩٥٦ م. وفي الثامن من كانون الثاني عندما تم حل البرلمان ومجلس النواب بطريقة غير دستورية تمت الدعوة إلى إضراب عام. ووفقاً للشروف «الأحد كان يوم إضراب عام في البلاد احتجاجاً على إعادة البرلمان الأول بناءً على قرار لجنة

تفسير القوانين القاضي بعدم دستورية حل البرلمان. وقد قامت في الرصيفة مظاهرة ووقع اصطدام بين الجمهور وبعض الأفراد من قوة الجيش الأردني. استعمل فيه الجيش اطلاق النار فقتل شخصين وجرح شخصين آخرين من أفراد الجمهور». وتم فرض حظر التجوال في المنطقة إلى أن خُفّف في ١١ كانون الثاني.

تعطي مذكرات الشروف في وقت أحداث الرصيفة لمحة عن محاولات العمال في شركة مناجم الفوسفات لتنظيم أنفسهم.^{١٢} وقد كتب الشروف يوم ٦ آذار عام ١٩٥٦ م ما يلي: «قدمت وعموم موظفين شركة مناجم الفوسفات بيانات عن الموظفين. أي كل موظف قدم بيان عن نفسه. وذلك لأجل التثبيت في الوظيفة وزيادة الراتب.» ليس من الممكن أن يعرف الأثر المباشر لهذا العمل من قبل موظفي الشركة. ولكن يسجل الشروف في ٢٨ أيار ١٩٥٦ م أنه تلقى علاوة على المعاش. وأنه سيتلقى من الآن فصاعداً راتباً شهرياً وليس أجرة يومية. مما يعطي الانطباع بأنه قد تمت تلبية مطالب العمال. في ١٢ آب عام ١٩٥٧ م انتخب الشروف لعضوية جمعية تعاونية لموظفي وعمال شركة مناجم الفوسفات الأردنية (الجمعية التعاونية لموظفي وعمال شركة مناجم الفوسفات). ومن المثير للاهتمام في هذه الانتخابات أنها عقدت تحت إشراف مدير شركة المناجم. الدكتور قاسم الريماوي. وهو فلسطيني من بيت ريمبا. الذي سيخدم لفترة وجيزة. من أوائل شهر تموز إلى نهاية آب ١٩٨٠. في منصب رئيس الوزراء في الأردن. وقد عقدت الجمعية التعاونية في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ م جولة انتخابات أخرى. وتشير النتائج إلى نمو عدد أعضاء للجمعية داخل الشركة. ففي حين كان المرشح صاحب أعلى أصوات في آب قد حصل على ١١١ صوتاً. فإنه نظيره في الانتخابات الثانية حصل على ٢٦٧ صوتاً. حصل شروف نفسه على ٩٧ صوتاً مقابل ٤٥ صوتاً في انتخابات سابقة. إلا أن هذا لم يساعده في أخذ مكان في الهيئة القيادية المكونة من ٩ أشخاص.

منذ ذلك الحين لم يذكر الشروف الجمعية التعاونية مرة أخرى. ومع ذلك. قال أنه يصف أجواء أكثر إثارة للجدل في موضوع تنظيم العمال. في ١٦ أيار عام ١٩٥٩ م كتب الشروف عن العريضة التي تم توزيعها. «والتي وقعت من قبل عدد من المهندسين ورؤساء الأقسام والموظفين والعمال في المناجم (الشركة) والتي يطالبون بها بالعلوّة وطلبات أخرى» لقد قدمت العريضة إلى الشروف ورفض التوقيع عليها. ويعود ذلك جزئياً إلى أن الفترة المحددة لتقديم الالتماس. في اليوم التالي. ١٦ أيار ١٩٥٩ م. كتب الشروف ما يلي: «ظهر في

المنجم عريضة موقعة من عدد من المهندسين ورؤساء الأقسام والموظفين والعمال في المنجم تضمن طلب الزيادة وغير ذلك من الطلبات وقد عرضت علي فرفضت توفيقها لوجود بعض المواد اي الطلبات لا تتفق وشرعية العريضة وقد طلبت تعديل تلك المادة وهي مدة الجواب على العريضة من طرف مجلس الإدارة.»

وعلى أية حال لم يكن ممكناً للشروف أن يبقى محايداً في جميع المسائل. ففي أواخر يناير كانون الثاني عام ١٩٦٠ م. تعرض للهجوم وهو يغادر عمله من نحو سبعة (حسب روايته) أفراد من قبيلة بني حسن. وهي واحدة من أكبر القبائل في الأردن. أدى الهجوم أن يدخل الشروف المستشفى. وتم حل المشكلة في ٥ شباط ١٩٦٠ م. كتب الشروف: «قبل الصلاة حضر من الزرقاء ملحم عبد الرحمن ملحم مختار حلحول وساهر دعنا مختار الحلايلة في الزرقاء والحاج أبو موسى من الدوايمة وتاجر في الزرقاء وعدد كبير من أبناء نوبا وبيت أولا وخاراس وحلحول القاطنين في عمان. وبعد الصلاة حضر مشايخ بني حسن. وعدد كبير منهم وأبو نصوح قائد مخفر الرصيفة. جبهة عليّ ومعهم ذبايح وتكالييفهم وقد منعنا الذبح.» في نهاية المطاف وصل الطرفان إلى اتفاق. والصراع الذي باتت أصوله غير واضحة في المذكرات. رغم أن عائلة الشروف تذكر أن الأمر كان بسبب عدم رغبة محمد عبد الهادي بالانضمام إلى المحسوبية القبلية في مكان العمل. انتهى بعد أن وافقت حمولة بني حسن على دفع ثلاثين ديناراً للشروف لدفع ثمن فاتورة المستشفى وأكل الجميع معاً. يعكس رفض الشروف قبول أي شيء يزيد عن هذا التعويض بحده الأدنى كبرياءه الذي لم يختف عبر السنوات المريرة السابقة. يقدم الشروف قائمة لثلاثين من الحاضرين في المصالحة. واحد من كل من حلحول. خاراس. وبيت أولا. والباقي يفترض من نوبا نفسها.

وبالتالي فإن هذه الحلقة تعطي إحساساً ليس فقط أن جلسات المصالحة خارج نطاق القانون مهمة في حل النزاعات في الأردن بقدر ما كانت مهمة بين القرويين في الضفة الغربية. ولكن أيضاً إلى درجة قوة شبكات القرية والحمولة. حيث استمرت حتى بعد تشتت الفلسطينيين خارج فلسطين. ملاحظات شروف على عدة حوادث أخرى توضح نفس النقطة. ففي ٣ أيلول عام ١٩٥٧ م. يسجل الشروف قائمة طويلة من الأفراد الذين تجمعوا في منزله. فيقول: «صباحاً حضر لداري كل من محمود إبراهيم سالم وسليم محمود إبراهيم والحاج عبد اللطيف عبد الرحمن وعبد الفتاح حسين وولده حسني وعطا محمد عبد القادر وعبد الله تيم وأحمد خليل إبراهيم ومحمد عبد اللطيف عبد الله

ومحمد نوفل وعبد الفتاح عبد القادر ثلجي ومحمد خليل حسين وآخرين. وبعد أن شربوا الشاي تكلموا معي بخصوص ذهابي معهم إلى مقعد حمولة الشروف. وبعد جدال ذهبت وإياهم إلى المقعد. وهناك تغالطوا الجميع من في المقعد على العشاء. وقد حلفوا على محمد عبد اللطيف عبد الله.» وفي تدوينة ثانية لنفس اليوم. كتب الشروف ما يلي: «هذا المساء. ٣ أيلول ١٩٥٧. تناولت وجبة غداء من اللحم والأرز في اجتماع للحمولة. حضره عدد كبير من أفرادها.» في ٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ م ووفقاً لمذكرات الشروف:

وبالساعة الثانية مساءً ذهبت وأبو سمير إلى عمان وحال وصولنا كراج الزرقاء في طريقنا إلى جبل الحسين قابلنا عدد غير قليل من شباب قريتنا وذهبنا جميعاً بسيارة الباص على حساب محمد الجبالي لدار أبو تيسير وهناك عقد اجتماع كبير ضم عدد من اهالي بلدتنا نوبا وبيت اوّلا وخاراس وترقوميا وحلحول وجرى البحث في مسألة التعدي الذي وقع على أحمد عبد الرحمن فراش. أخ أبو تيسير. من طرف أشخاص من قلقيليا.

وكتب في ٢٢ تشرين الثاني: «صباحاً ذهبت لعمان لدار محمد عبد الرحمن فراش. وهناك جرى الصلح على الطريقة العشائرية بين المذكور ووالده وأخيه من جهة. وجماعة من قرية قلقيليا من جهة ثانية. وقد ذبحوا اهالي قلقيليا خروف وعشرة ارطال ارز والتكالييف ووقعوا عشرون دينار عطل وضرر شقيق محمد عبد الرحمن المذكور وحضر الصلحة السادة حماد السعيد من سيلة الظهر وآخرين من يازور وبعض القرى الأخرى وقسم غير قليل من أهل نوبا وبيت أولا.»

وهنا مرة أخرى. من الممكن أن نرى كيف أنه في أعقاب النكبة حافظ الفلسطينيون على النظام الاجتماعي السابق (الشكل التنظيمي للقرية. والحمولة. والأساليب التقليدية للمصالحة). وكيف اضطروا إلى التكيف مع الظروف الجديدة في حياتهم (أسر من جبل الخليل وقرية قلقيلية. الواقعة جنوبي مدينة طولكرم. اجتمعوا في عمان).

على الرغم من أن هذه الشبكات الاجتماعية كانت تفعل في لحظات الصراع. في نفس الوقت يمكن للمرء أن يشعر أنها بدأت بالتلاشي بطرق أخرى. في ذروة اليوميات. كان هناك تدفق يومي للأفراد من وإلى منزل الشروف. تماماً كما كان يشارك باستمرار وجبات الطعام. الشاي. أو القهوة مع الآخرين في نوبا. قرى صف

آل العملة، وجبل الخليل. بعد أن انتقل إلى الرصيفة. تفككت هذه الشبكة التي كان الشروف قد انخرط فيها. وبالتالي فقد التقت هذه اليوميات الفارق الدقيق ولكن الواضح للنكبة المستمرة التي يعيشها الفلسطينيون من ذوي المكانة كعائلة الشروف. والقرويون من الضفة الغربية الذين لم يصبحوا لاجئين على الفور في عام ١٩٤٨، ولكن مع ذلك تعرفوا على تجربة التشرد الفلسطينية.

خاتمة

بعد حرب عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل للضفة الغربية. لم يعد محمد عبد الهادي الشروف إلى نوبيا. بقي في الأردن حتى الثمانينيات. حين انتقل إلى سوريا وافتتح دكانا في خان الشيوخ. وهي بلدة تقع جنوب غربي دمشق مع مخيم كبير للاجئين الفلسطينيين. لكن بعد عدة سنوات عاد إلى الأردن. وحسب عائلته فقد كان الشروف متفائلا بأن اتفاقيات أوسلو ستسمح له بالعودة إلى القرية التي حلم بها حتى أيامه الأخيرة. لكنه فارق الحياة عام ١٩٩٤. قبل أن يتمكن من تحقيق هذا الحلم. في نواح كثيرة. تمثل يوميات محمد عبد الهادي الشروف التجربة الفلسطينية الأوسع. وتعكس وجهة نظر غير مألوفة في هذه التجربة. وعلى الرغم من أن الشروف لم يكن لاجئاً أو عضواً في النخبة السياسية. إلا أن يومياته تتحدث عن الاقتلاع والإحباط السياسي الذي رافق ضياع فلسطين. وفي حين أنها تسجل الحياة اليومية لقروي. والتي تمتد لأكثر من عقدين بعد عام ١٩٤٨. فإنها تقف باختلاف وتميز واضحين عن رمسة^{٢٨} الحياة الفلسطينية الريفية. وأيقنة^{٢٩} النكبة التي أصبحت الاستعارة الرئيسية في الروايات الوطنية الفلسطينية.

في يوميات الشروف. هذه الجوانب ليست ركائز رمزية ولكن يتم دمجها في سجل غني ومعقد تعطي أهمية متساوية تقريباً لأحداث كل يوم. سواء كانت لاستئجار غرفة إضافية لتوسيع مدرسة القرية. أو شراء الطحين من السوق. أو زراعة وحصاد المحاصيل. أو هجوم شنته القوات الصهيونية على قرية مجاورة. أو قرار للبحث عن عمل في الأردن. في هذه الطريقة. كما هو الحال في العديد من الطرق الأخرى. فإنها تشكل مساهمة لا تقدر بثمن لأولئك المهتمين بالتاريخ الفلسطيني.

القصة التي تتكشف في يوميات الشروف معقدة خاصة في مستويات متعددة من التفاعل الاجتماعي متعدد المجالات العامة. مهما كان كطرف يعمل فيها. هذه اليوميات تشكل في آن واحد نوعاً من التاريخ العائلي. من تاريخ قرية نوبيا. من تاريخ قرى صف العملة. من منطقة الخليل. من فلسطيني الضفة الغربية. وهؤلاء الفلسطينيون الذين فرض عليهم ترك منازلهم للحصول على سبل عيشهم عبر نهر الأردن. كذلك هو تاريخ لموظفي الخدمة المدنية الفلسطينية والموظفين الحكوميين تحت الانتداب. ووجهاء القرية من المزارعين. والقوى الصناعية المتطورة في الأردن. هو تاريخ من النزاعات الكبيرة والنزاعات الصغيرة التي تم حلها بين الأسر في المحاكم والمؤتمرات الدولية. أو تركت بدون حل. هو سجل لتفاعلات اجتماعية لا تعد ولا تحصى - تقاسم الشاي والقهوة والوجبات والمال والإسكان والنقل - وهي الأمور التي شكلت الحياة اليومية للفلسطينيين قبل وبعد عام ١٩٤٨.

كما سجلت إيرينا بابيرنو في ملاحظاتها البحثية حول استعمالات اليوميات «قالب السرد الذي يمثل تدفق الحياة في حين يتم توقع واستشراف المستقبل يمكن استخدام المذكرات لبناء الاستمرارية وكذلك للتعامل مع الشخصية والتمزق الاجتماعي.»^{٣٠} يقدم عبد الهادي الشروف حساباً لتلك الاستمرارية والتصدعات والتي من الممكن أن تتضافر لتشكيل حياة الفرد وتاريخ المجتمع. ثراء التفاصيل التي سجلها الشروف حول الاستمرارية والتصدعات تسمح لنا بإعادة التأريخ للمهمشين في ظل هيمنة الرواية القومية السائدة والرواية التي تقتصر على تاريخ النخبة. لذلك فإننا كباحثين وكبشر مدينون لهذا الرجل وتاريخه الغني.

ترجمة علي موسى

ذكرياً، وحمولة الطرمان من ٤٠ أسرة (١١٥ ذكرياً). في ٦ شباط ١٩٥٤ م. يصف الشروف توزيع تبرعات القمح على ٤٩٠ شخص في القرية. ١٩٢ منهم من حمولة الشروف. و١١٧ من حمولة الدبابسة. و١٣١ من حمولة الطرمان. في ٨ حزيران ١٩٥٥ م. يقسم الشروف تعداد سكان القرية البالغ ١٠١٨ إلى ٤٠٨ من الشروف. و٣٨٤ من الدبابسة. و٢٢١ من الطرمان.

٩ كنيسة المانويات طائفة بروتستانتية مسيحية تنصف جزئياً بمعتقدات رفض الحرب والعنف. تم تشكيل اللجنة المركزية للمانويات عام ١٩٢٠ م كفرع خدمات تابع للكنيسة لتقدم الإغاثة في الأزمات الدولية وتدعم قضايا العدالة الاجتماعية في الولايات المتحدة. لقد أسست الكنيسة فرعاً في الخليل لتقديم المساعدة للاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٩ م. لمعرفة التاريخ الكامل لدور المانويات في فلسطين. راجع:

Alain Epp Weaver and Sonia K. Weaver, *Salt and Sign: Mennonite Central Committee in Palestine, 1949-1999* (Winnipeg: Mennonite Central Committee Canada, 1999)

١٠ تم تأسيس الزاوية عام ١٩٣٣ على يد الشيخ حسني القواسمي. لكي تخدم المنتسبين للطريقة الخلوئية الصوفية. وهم يديرونها ويشرفون على شئونها. وقد سجل الشروف وفاة الشيخ القواسمي في يومية بتاريخ ٢١ كانون ثاني ١٩٤٤ م. وتعرف هذه البناية الآن بمسجد الزاوية الشرقية. بعد بناء مسجد الزاوية الغربية عام ١٩٩٠ م. يمكن الحصول على مزيد من المعلومات حول المواقع ذات الأهمية والممارسة الدينية في نوبا من خلال "Nuba Village Profile" على ARIJ وعلى موقع القرية الرسمي www.nuba.ps.

١١ راجع على سبيل المثال نصوص يوميات ٩ أيلول ١٩٤٦ و٢٢ شباط ١٩٥٢ و٨ كانون الثاني ١٩٥٣ و٨ نيسان ١٩٥٤.

١٢ هذا الرقم يستند على

"Palestine Police Force Annual Administrative Report, 1945," republished in: *Palestine and Transjordan Administration Reports, 1918-1948*. (Cambridge: Cambridge University Press Archive Editions, 1995), vol. 2, pp. 723-798. See pp. 727-28.

بالنسبة للأرقام. فإنها لا تشمل الشرطة الإضافيين والمجندين الخاصين وشرطة المستوطنات اليهودية والشرطة البلدية. أو الغفراء. ورغم أن غالبية هؤلاء الشرطة غير النظاميين كانوا من اليهود. فقد ضمت أيضاً أعداداً هامة من الفلسطينيين.

١٣ Salim Tamari, "Away from Dura (or Life in the Margins)," foreword to Amr, *A Young Palestinian's Diary*.

١٤ راجع على سبيل المثال يوميي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٤ م و٢٢ كانون الأول ١٩٤٤ م.

١٥ راجع:

Yusef Heikal, "Jaffa... as It Was," *Journal of Palestine Studies*, v. 13, no. 4 (Summer 1984), pp. 3-21; Shafiq al-Hout, *My Life in the PLO: The Inside Story of the Palestinian Struggle*, trans. Hader al-Hout and Laila Othman (New York: Pluto Books, 2011); Abu Iyad [Salah Khalaf] with Eric Rouleau, *My Home, My Land: A Narrative of the Palestinian Struggle* (New York: Times Books, 1981); Salwa Salem and Laura Maritano, *The Wind in My Hair* (Northampton, MA: Interlink Books, 2006).

١ راجع على سبيل المثال لا الحصر مذكرات عارف العارف. محمد عزة دروزة. رشيد الحاج إبراهيم. خليل السكاكيني. خليل طوطح. أكرم زعيتر.

٢ *A Young Palestinian's Diary, 1941-1945: The Life of Sami Amr*, trans. Kimberly Katz (Austin: University of Texas Press, 2009).

٣ على سبيل المثال. تصف أرينا بابيرنو اليوميات بأنها «كتابات خاصة مؤرشفة ذات قيمة تاريخية وأدبية محتملة». وتكتب: «اليومية مرتبطة بشكل تام برواية صاحبها. لكنها ليست موجهة إلى مخاطب. ما يلي هو العلاقة الخاصة ما بين اليومية والخصوصية والحميمية والسرية». وأكثر من ذلك. «في العقود الحديثة. ادعى فرع جديد من علم التأريخ أن اليوميات إلى جانب الرسائل وأشكال أخرى من الكتابة الشخصية. هي عبارة عن عناصر من «الحياة الخاصة» التي تشكلها أشكال من الوجود الخاص والحميمي (عكس الوجود العام)».

Irina Paperno, "What Can Be Done with Diaries?" *Russian Review*, no. 63 (October 2004), pp. 561-64.

وتربط أرينا شابيرا. من خلال كتابتها عن يوميات اليهود في القدس عام ١٩٤٨. ما بين اليوميات والخصوصية: «من بين الأسئلة التي يمكن للمرء طرحها فيما يتعلق بهذه الكتابات: كيف استدخل الكتاب روح المرحلة؟ كيف فسروا الحقيقة؟ كيف كان تكوينهم العاطفي والجسدي؟ كيف كانت ردة فعلهم على أوضاع الضغط والحقائق المتغيرة والمشاكل الشخصية والوطنية؟ إن ثقافة كتابة اليوميات أو الرسائل جزء من ثقافة معرفة الكتابة والقراءة والتعليم وتقدير الكلمة المكتوبة كوسيلة للتواصل بين الأشخاص وكوسيلة للحوار الداخلي ما بين الفرد ونفسه أو نفسها. راجع:

Anita Shapira, "Jerusalem in 1948: A Contemporary Perspective," *Jewish Social Studies*, 17, no. 3 (Spring/Summer 2011), pp. 79-80.

٤ Dwight F. Reynolds, ed., *Interpreting the Self: Autobiography in the Arabic Literary Tradition* (Berkeley: University of California Press, 2001). The book's text is coauthored by Kristen E. Brustad, Michael Cooperson, Jamal J. Elias, Nuha N. N. Khoury, Joseph E. Lowry, Nasser Rabbat, Dwight F. Reynolds, Devin J. Stewart, and Shawkat M. Toorawa.

٥ Reynolds, ed., *Interpreting the Self*, p. 29.

٦ لتحليل تاريخي لعائلة العملة وموقعها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في جبل الخليل في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين راجع:

Johann Büssow, *Hamidian Palestine: Politics and Society in the District of Jerusalem, 1872-1908* (Leiden: Brill, 2011), pp. 194-210

٧ "Nuba Village Profile" (Jerusalem: Applied Research Institute-Jerusalem [ARIJ], 2009), p. 9, available online in English and Arabic at proxy.arij.org/vprofile.

٨ راجع على سبيل المثال الإحصاء الذي قام به الفلاحون في ١١ حزيران ١٩٥١ م. والذي سجل فيه الشروف أن حمولته تتكون من ١٥ أسرة (١٧٩ ذكرياً). وحمولة الدبابسة من ٥٧ أسرة (١٥٩

- ١٦ من الصعب تخمين سبب عدم ذكر هذه المجزرة في يوميات الشروف. على سبيل المثال. يذكر الشروف أسوأ المجازر صينياً. مجزرة قرية دير ياسين. في يومية ٩ نيسان ١٩٤٨ م: «ارتكب اليهود المجرمين حادثاً إجرامياً بقرية دير ياسين العربية اذ فتكوا بهم فتكا ذريعاً وقتلوا عدداً كثيراً من رجال ونساء وأطفال القرية.» لكن الشروف غير متسق تماماً في تسجيل مأسى الحرب المتواصلة. رغم أن الدوايمة أقرب بكثير إلى نوبيا. ربما يكون السبب أن أخبار المجزرة لم تصل الشروف إلا بعد انقضاء وقت طويل. أو أنه ربما كان منشغلاً بأمر آخرى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قرب القتال إلى نوبيا.
- ١٧ للحصول على ملخص لشهادة هديب التي يصف فيها المجزرة. راجع:
- United Nations Conciliation Commission for Palestine, Technical Committee, "Report Submitted by the Arab Refugee Congress of Ramallah: The Dawaymeh Massacre," 14 June 1949, United Nations document A/AC.25/Com.Tech/W.3, available online through unispal.un.org.
- ١٨ في خضم النضال العربي الفلسطيني. مذكرات المناضل بهجت أبو غربية، ١٩١٦-١٩٤٩ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣). بخصوص رواية أبو غربية للأحداث في المنطقة المحيطة بنوبيا. خاصة في صويرف. راجع الفصل ٤١ («الانتقال إلى منطقة بيت لحم») والفصل ٤٢ («أيام وليال في آثار صويرف ووادي الصور»). الصفحات ٣٥٠-٣٦٤.
- ١٩ Ilan Pappé, The Ethnic Cleansing of Palestine (Oxford, UK: Oneworld Publications, 2006), p. 147.
- ٢٠ يذكر الشروف عدة مرات النقاشات التي خاضها مع آخرين حول الانتخابات البرلمانية التي أعقبت اغتيال الملك عبد الله. لكنه لم يشير بتاتا إلى الاغتيال ذاته مباشرة.
- ٢١ لصورة أوفى وأشمل لمحاكمة المتآمرين المزعومين. والتي تلقي بعض الضوء أيضاً على الاستياء السياسي من الحكم الأردني بين الفلسطينيين. راجع:
- S. G. T., "King Abdullah's Assassins," *The World Today* 7, no. 10 (October 1951), pp. 411-19.
- ٢٢ كلمة غير ظاهرة.
- ٢٣ تشير المراسلات الخاصة بوزارة الخارجية إلى أن البريطانيين رأوا الحوادث الحدودية كنتيجة لسياسة متعمدة تقضي بالانتقام من القرويين الفلسطينيين. يحتوي مكتب التسجيل البريطاني العام على وثائق تتعلق بأحداث وقعت في أيار ١٩٥٣ م. بما فيها حادث في بيت عوا. وهي قرية إلى الجنوب الغربي من نوبيا على طول خطة هدنة ١٩٤٩. تقول برقية وردت من السفارة البريطانية في عمان إلى وزارة الخارجية: «يقول الفيلق العربي أن الحوادث التي تتحدث عنها البرقيتان المشار لهما ناتجة عن محاولة قرويين عرب من بيت عوا حصد محاصيل نثروا بذورها في أراض مجاورة لأراضيهم. لكنها تقع على الجانب الآخر من الحدود. في ٢٧ أيار وصلت قوة من المشاة الإسرائيليين وحرقوا هذه المحاصيل. لكن محاولتهم الاستمرار في عمليات الحرق على طول الحدود كانت سئوذي إلى اشتباكهم في مدى واسع مع الحرس الوطني والفيلق العربي فانسحبوا في نهاية الأمر. في صباح ٢٨ أيار عادت مجموعة أخرى من المشاة تدعمها ست ناقلات جند مدرعة لذات الغرض. لكنها علفت أيضاً وانسحبت. تابع الفيلق الأحداث كما هي العادة في وقت الحصاد. فهمت
- بشكل غير رسمي أن مراقبي الأمم المتحدة يدعمون نسختهم بشكل عام. راجع: PRO FO 371/104782.
- راجع أيضاً تقارير الجيش العربي [الأردني] حول حوادث الحدود. وتقرير مكتب الشؤون الخارجية البريطانية حول محاولة اختراق إسرائيلية فاشلة للحدود مع قرية صويرف في ٩ أيار ١٩٥٤ م.
- PRO FO 371/111101.
- ٢٤ راجع اليومية الطويلة بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٥٢ م. للمزيد حول نوادي الرياضة في فلسطين الانتدابية راجع:
- Issam Khalidi, "Body and Ideology: Early Athletics in Palestine (1900-1948)," *Jerusalem Quarterly* 27 (Summer 2006), pp. 44-58.
- ٢٥ في الحقيقة فإن هذه اليومية واحدة من اثنتين تحملان تاريخ ٨ تشرين أول ١٩٥٣ م. إحداهما مع يوم الثلاثاء والأخرى مع يوم الأربعاء. ولأن يوم ٨ تشرين أول ١٩٥٢ م هو يوم الثلاثاء فقد افترضت أن اليومية الثانية التي نقتبس منها هنا كانت فعلياً ليوم ٩ تشرين أول.
- ٢٦ أي جميعاً.
- ٢٧ لتاريخ عام حول العمل المنظم في الأردن راجع:
- منصور إبراهيم العتوم. *العمل والعمال في الأردن*. لجنة تاريخ الأردن. عمان. ١٩٩٣: عمر خربوش حمائل. *النقابات المهنية الأردنية: خصائصها المؤسسية ودورها السياسي*. مركز الأردن الجديد. عمان: و
- Hani Hourani, *The Jordanian Labor Movement: History, Structure, and Challenges* (Bonn, Germany: Friedrich Ebert Stiftung, 2001).
- ٢٨ التصوير الرومانسي [ملاحظة من المحرر].
- ٢٩ تحويلها إلى أيقونة [ملاحظة من المحرر].
- ٣٠ Paperno, "What Can Be Done with Diaries?" p. 572.